

الاتجاه الإسلامي في أدب العلامة شبلي النعماني

**الأستاذ الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم
عمادة البحث العلمي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية**

المقدمة :

العلامة محمد شبلي النعماني الملقب بشمس العلماء أديب مسلم هندي وعالم مفكر وشاعر قرّض الشعر بالعربية والفارسية والأردية ، ومؤرخ كتب بالأردية والعربية ، أسهم في حركة «عليكره»* وأسهم في تأسيس ندوة العلماء ودار المصنفين في لكهنؤ ، وله أياد عظيمة في إصلاح نظام التربية والتعليم في المدارس العربية والإسلامية في شبه القارة ، أحب الإسلام والمسلمين فأحب العربية وأهلها وكانت حياته وقفاً على هذا الحب السامي .

ولد محمد شبلي عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م في قرية بندول التابعة لـ«أعظم كره» ، وتوفي عام ١٩١٤م ، فكان مولده عام الثورة ضد الإنجليز وكانت وفاته عام اندلاع الحرب العالمية الأولى .

والحديث عن شبلي والاتجاه الإسلامي في أدبه يفرض علينا أن نتحدث أولاً عن البيئة الاجتماعية والسياسية وعن البيئة اللغوية التي نشأ فيها شبلي اللتين أثرتا عليه وشكلت بعد ذلك أفكاره التي صاغها نثراً ونظماً بالعربية حيناً وبالفارسية حيناً آخر وبالأردية في معظم الأحيان .

أولاً: حياة شبلي النعماني وشخصيته وثقافته :

١ - تمهيد :

أ - البيئة الاجتماعية والسياسية :

قامت في الهند سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م ثورة ضد الإنجليز تزعمها المسلمون وانضم إليها بعض الهنادكة، وشملت أكثر نواحي الهند وإن بدت أكثر وضوحاً في العاصمة دهملي، ولأسباب لا مجال لذكرها هنا^(١) فشلت الثورة، وتحمل المسلمون وحدهم نتائج هذا الفشل، فقام الإنجليز بالانتقام الشرس من المسلمين دون غيرهم وعملوا على إذلالهم، فقد كان المسلمون هم أصحاب الحكم، وأهل الثقافة والحضارة والمال والنفوذ في طول البلاد وعرضها، كانت المدارس ومدارسهم والثقافة ثقافتهم، فكان لابد للمحتل أن يقضي على ذلك كله ويُميت كل أثر للحكم الإسلامي ليفتح الطريق لثقافته ونفوذه.^(٢)

وبدأت عمليات شق جماعية في أنحاء البلاد وصودرت ممتلكات المسلمين ونسفت ديارهم وبيعت أراضيهم بأسعار رمزية للهنادكة والشيخ وأعلنت الإنكليزية لغة رسمية بدلاً من الفارسية (التي كانت لغة البلاط من قبل) واعترف نهرو بذلك صراحة حين قال: «بعد سنة ١٨٥٧م كانت اليد القوية للبريطانيين أشد وطأة على المسلمين منها على الهندوس».^(٣)

ويقول الشيخ فضل حق خير أبادي وهو ممن خاضوا الثورة ضد الإنجليز وكتب عنها بالعربية كتاباً بعنوان الثورة الهندية :

«إن النصارى البراطنة [أي البريطانيين] هموا بأن يُنصروا كلاً من قطانها وسكانها تنصيراً.. ليصير الناس كلهم كمثلهم من ملاحدة متوافقين على ملة واحدة».^(٤)

وكتب أيضاً :

« وجل من ابتلى بظلم الظلام أهل الإيمان والإسلام وأما الأهاند (الهندوس) فقد

سَلِمُوا إِلَّا مَنْ ظَنَ بِهِ أَنَّهُ مَنِّعَانَدٌ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَنْ (تَرَكَ) بَيْتَهُ مَهَاجِرًا، وَمَنْ كَانَ لِلنَّصَارَى نَاصِرًا وَفِي دِينِهِ قَاصِرًا أَوْ مَنْ كَانَ لَهُمْ جَاسُوسًا وَمَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ مَيْثُوسًا. . .»^(٥)

وفي أجواء هذه الظروف القاسية بدأ بعض قادة المسلمين في العمل قدر استطاعتهم لما فيه خير أبناء وطنهم وإخوانهم في الدين، فبرزت القيادة الدينية التي تزعمها علماء الدين المخلصين بينما ظهرت قيادة ثانية تزعمها سيد أحمد خان وتلاميذه من أصحاب المدرسة الجديدة، ويرى الشيخ أبوالحسن الندوي^(٦) أن الهجمة الشرسة ضد المسلمين من الإنجليز جعلتهم في وضع الدفاع عوضاً عن الهجوم وجعلتهم يفكرون في الاحتفاظ بالبقية الباقية من العاطفة الدينية والروح الإسلامية ومظاهر الحياة الإسلامية والدعوة إلى تجنب الحضارة الغربية والابتعاد عنها ما أمكن، وراحوا يفكرون في بناء معامل للحضارة الإسلامية والثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية وتخرج العلماء الدعاة والمرشدين من هذه المعامل التي سميت بعد بالمدارس العربية.^(٧) ومن هنا ظهرت مدرسة ديوبند ومن بعدها حركة ندوة العلماء.

أما سيد أحمد خان^(٨) (١٨١٧م/١٨٩٨م) فقد شاهد انهيار الحكومة الإسلامية ورأى فشل ثورة ١٨٥٧م ورأى ما دفعه المسلمون من قيمة للثورة، وبعدها اتصل بالإنجليز وأعجب بذكائهم ومدنيتهم فتأثر بهم تأثر المغلوب بالغالب والضعيف بالقوي، وأعلن في بعض مقالاته عن ضرورة أن يرغب المسلمون في قبول حضارة الغرب بكاملها والسبب في ذلك عنده هو «حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم أعينها ويعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة».^(٩)

وحاول سيد أحمد خان توحيد صفوف المسلمين في شبه القارة الهندية وتعديل موقفهم تجاه الإنجليز بحثهم على ضرورة تعلم اللغة الانجليزية والاستفادة من العلوم والمعارف العصرية الحديثة، والواقع أن دعوته أسفرت عن تخفيف حدة الاضطهاد البريطاني للمسلمين، غير أن أخطائه فيما بعد فيما يتعلق بالعقيدة أضرت بدعوته.^(١٠)

زار سيد أحمد خان إنجلترا وزار جامعة كمبردج للوقوف على مناهج الجامعات في أوروبا وبعد عودته أسس منظمة المؤتمر التعليمي الإسلامي بالهند ثم أنشأ كلية عليكره باسم الكلية الإسلامية الإنجليزية الشرقية Mohammdan Anglo Oriental College عام ١٨٧٧م ثم تحولت الكلية إلى جامعة سنة ١٩٢٠م وسميت جامعة عليكره الإسلامية. ^(١١)

والحقيقة أن سيد أحمد خان لم يحاول إخضاع النظام التعليمي الغربي لطبيعة المجتمع الإسلامي الهندي ولم يفكر في سبكة سبكا جديدا إسلاميا هنديا ولم يفصله عن الحضارة الغربية وروحها المادية ووصل به الأمر إلى أنه اشترط أن يكون العميد انجليزيا واستاذان على الأقل من الإنجليز. ^(١٢)

ومن ناحية أخرى تمسك هذا النظام بتعليم اللغة والأدب فقط ولم يعن بتعليم الفنون والعلوم التطبيقية العملية مع أنها هي ثمرة العلم الجديد وسرّ قوة الأمم الغربية وسيادتها بل عارض أحيانا تعليم الصناعات والعلوم معارضة شديدة. ^(١٣) إلا أن الجامعة - كما يقول أبوالحسن الندوي - «خرجت خيرة الشباب وقادة الفكر وزعماء سياسيين وأدباء كبار وشخصيات قومية قادت حركة الخلافة الشهيرة، وحركة التحرير في الهند بل وأسهمت مساهمة فعالة في قيام دولة باكستان وإدارتها فيما بعد» ^(١٤).

ورغم ما ذكرناه عن حركة عليكره إلا أن الأمانة تقتضي الإشارة هنا إلى أن منهج التعليم في المعاهد الدينية كان لا يصلح لتغيرات العصر فقد تغيرت الأوضاع وتبدلت المقاييس وتطورت الثقافات وتجددت الأفكار والنظريات، بينما شيوخ هذه المعاهد حصروا جهودهم في دراسة كتب وشرح ومقررات ورثوها عن شيوخهم منذ زمان ولم يفكروا في تطويرها طبقا لما يتطلبه العصر من علوم وآداب وما يحتاج إليه من فنون ومعلومات للدفاع عن حرمة الدين والدود عن حياضه، في وقت ركزت فيه كلية عليكره على اقتفاء أثر الغرب وعدم الاهتمام بأمور الدين.

ب - البيئة اللغوية :

انتشرت اللغة العربية بعد فتح العرب للسند وأصبحت اللغة الرسمية للبلاد تكتب بها جميع المراسلات الرسمية وظلت العربية لغة تخاطب في السند جنباً إلى جنب مع اللغة السندية ، وفي الربع الأخير من القرن الرابع الهجري (١٠م) ظهر الغزنويون في شمال غرب الهند ومن هنا فتح طريق جديد لنشر الثقافة العربية الإسلامية في الهند ولنشر الفارسية أيضاً . وظلت العربية حتى زمان مسعود الغزنوي اللغة الرسمية للمكاتبات بفضل وزيره خواجه أحمد بن حسن الميمندي ، كما كان أهل ملتان حتى منتصف القرن الرابع الهجري (١٠م) يتكلمون العربية بالإضافة إلى لغتهم الأم .

هاجر عدد كبير من العلماء العرب إلى الهند وتركوا بالإضافة إلى مؤلفاتهم العربية تلاميذ صاروا علماء في العربية وعلومها وأسسوا مدارس عربية انتشرت في عموم الهند ، وكان لهم دور مهم في التصدي للفوضى الذهنية التي أعقبت حكم الإمبراطور المغولي أكبر والتي أدت بدورها إلى ظهور العديد من الفرق مثل المهدوية والشطارية والمدارية والنقوتية وغيرها .

ولذا ارتبط الإصلاح السلفي بهؤلاء العلماء مثل : الشيخ عبدالحق محدث الدهلوي والشيخ أحمد بن عبدالأحد سرهندي المعروف بمجدد الألف الثاني وغيرهما مما قاموا بجهود كبيرة لإعادة الوعي للمسلمين واستمرت جهودهم منذ نهاية عهد أكبر وحتى زمان جانكير .

في عهد جهانكير وأورنكزيب (١٠١٤هـ/١٦٠٥م - ١١١٨هـ/١٧٠٨م) أصبح على دارس العربية دراسة الفارسية أولاً ، أما دارس الفارسية فلم يكن بحاجة إلى دراسة العربية ومن هنا اضطر الجميع إلى دراسة الفارسية للحصول على وظائف البلاط ، واستمرت مناهج الدراسة العربية كما هي عليه من قبل ، إلا أن عهد أورنكزيب شهد اهتمام البلاط بالعربية نظراً لاهتمام الإمبراطور بالعلوم الدينية ، وهذا بدوره أدى إلى انتهاء إشراف علماء الفارسية داخل البلاط على العلماء كافة ولو كان الطريق البحري إلى الهند مفتوحاً لازدهرت العربية في شبه القارة إلا أن سيطرة

البرتغاليين والإنجليز والفرنسيين على البحر عطلت إلى حد كبير تبادل المعرفة والعلوم بين أهالي المنطقة والبلاد العربية.^(١٥)

وأدى تدهور الدولة المغولية إلى تدهور العلوم العربية والإسلامية ورغم هذا نهض بعض العلماء بأداء خدمات جليلة للغة العربية وعلومها.

وساءت الظروف السياسية في الهند نتيجة لإحكام قبضة الإنجليز عليها، فقد حاول الإنجليز الضغط على المسلمين الذين قاموا بثورة ضدهم سنة ١٨٥٧م / ١٢٧٤هـ ففرضوا على التعليم الديني بالبلاد حتى اقتصر هذا التعليم على تخريج أئمة المساجد فقط، وأصبحت المدارس العربية التي كانت بالأمس مملوءة بالطلاب خاوية على عروشها.

ولابد أن نشير هنا إلى أن زعماء الإصلاح في الهند اضطروا إلى الكتابة بالفارسية لإبلاغ دعوتهم إلى السواد الأعظم من مثقفي أهل الهند الذين كانوا يتكلمون ويتعاملون بالفارسية، التي كانت لغة البلاط، إلا أن البعض الآخر أثر الكتابة بالعربية فشاها ولي الله الدهلوي يكتب بالعربية كتاب «حجة الله البالغة» مثلاً. ورغم تدهور الدولة المغولية إلا أن العربية ظلت تروج على لسان العلماء وعلى لسان بعض الشعراء أيضاً بالإضافة إلى طلاب المدارس العربية التي انتشرت في ربوع شبه القارة، إلا أنه بعد السيطرة الكاملة للإنجليز على البلاد خططوا لنشر نظام للتعليم يقضي على اللغة الرسمية القديمة للمسلمين، وهكذا تقلصت خريطة المدارس الإسلامية كثيراً حتى تراجعت إلى داخل بعض المساجد بعد أن هجرها الدارسون والمدرسون على السواء.^(١٦)

ثم ضغط الإنجليز أكثر فأكثر وعملوا على القضاء على الفارسية، لأسباب دينية وسياسية وذلك عن طريق دعم اللغة الأردية، وقد أثر هذا بدوره على العربية في شبه القارة.^(١٧)

والحديث عن اللغة الأردية يعيدنا قليلاً إلى الوراء، فمع دخول المسلمين الهند بدأت لهجات جديدة في الظهور أدت في النهاية إلى ظهور لغات استخدمها أهل الهند

كل في منطقته، فقد دخل المسلمون مدن الهند، وعمرؤا مدنا جديدة وأنشؤوا مدنا أخرى واختلط العرب بأهل البلاد واختلطت لغات المسلمين الفاتحين مع لغات أهل البلاد المفتوحة، ودخلت ألفاظ وتراكيب العربية والتركية والفارسية إلى اللهجات المحلية في مناطق الهند المختلفة، وكانت في معظمها تتضمن الألفاظ العربية المتصلة بالمصطلحات الدينية، وفيما يتعلق بالألفاظ التركية والفارسية كانت في معظمها كلمات متصلة بالمأكل والمشرب والملبس وشاعت لغة للحديث تداولها الناس فيما بينهم، وكانت خليطاً عجيباً أشبه بخليط الألفاظ العربية التي نسمعها الآن في شوارع مدينة الرياض بين كوري وهندي وفلبيني وبنغالي وحتى عربي حين يتفاهمون فيما بينهم بالعربية فيعمدون إلى تصفيف ألفاظ تؤدي المعنى ويجاريهم في طريقتهم هذه العربي أيضاً ظناً منه - وربما كان على حق - أن هذه هي الطريقة الوحيدة لفهام غير العربي العربية .

ونعود إلى شبه القارة الهندية لنرى أن الغلبة في النهاية كانت لتلك اللهجة التي راجت في تجمعات مناطق (دهلي وميرته) وما حولها، ومنها كان مواد اللغة التي أطلق عليها فيما بعد الأردية، وقد راجت تلك اللهجة في المدن بينما تراجعت اللهجات المحلية إلى القرى في مناطق البنجاب وأوده والدكن وبهار وكجرات وحتى بمباي .^(١٨) ومضت اللغة حيث مضت خطوط الفتوحات الإسلامية وانتشرت بالتدريج وارتقت وتطورت في ظل الحكم الإسلامي في الهند وفي ظل نشاط الدعاة المسلمين الذين ساعدت كتاباتهم على تدوين اللغة ووصول نماذجها الأولى إلينا اليوم .

وهكذا نرى أن العامل الديني كان له أعظم الأثر في نشأة اللغة الأردية إذ أدى ازدياد الهجرات إلى استخدام العربية في المناطق والأقاليم المفتوحة واستقرت القبائل العربية في الأمصار المفتوحة داخل معسكرات وأدى هذا في البداية إلى تعريب المناطق المفتوحة بدرجات متفاوتة^(١٩) وتدرجياً حدث الامتزاج على المستوى الأكبر، وانتشر الخط العربي وكان تدوين اللهجة الجديدة عن طريق الخط العربي بعد استحداث أشكال جديدة للحروف للتعبير عن الأصوات المحلية للهجة المحلية.^(٢٠)

وخضعت اللغة الجديدة لمحاولات إصلاحية استمرت لفترة طويلة ولا تزال حتى اليوم .

وكان للإنجليز دون أن يخططوا لذلك دور مهم في تطوير اللغة الأردنية ، ثم كانت حركة سيد أحمد خان ، حركة عليكره التي أدت دوراً رائداً في وضع الأردنية في مصاف اللغات القادرة على التعبير عن كل مجالات العلوم والآداب .

٢ - مولد شبلي وثقافته :

ولد محمد شبلي في ذي القعدة ١٢٧٣هـ / مايو ١٨٥٧م وسماه والداه محمد شبلي نسبة للشيخ أبي بكر شبلي المتوفى ٣٢٤هـ من بلدة شبليه بمنطقة تركستان وغلبت النسبة حتى صارت جزءاً من الاسم . وأضاف شبلي فيما بعد لقب النعماني الذي لقبه به أستاذه الشيخ فاروق جرياكوتي واختار شبلي تخلصه^(٢٢) الشعري في الأردنية «تسنيم» وفي الفارسية «شبلي»^(٢٣) .

ولد شبلي في قرية «بندول»^(٢٤) التابعة لـ «لأعظم كره» .

بدأ شبلي تعليمه وهو في السادسة من عمره فدرس في قريته القرآن الكريم والكتب الفارسية ، وفي أعظم كره درس في المدرسة العربية ، وفي جونيور درس في المدرسة الحنفية ثم انتقل إلى غازي يور ليتلقى العلم على يد الشيخ محمد فاروق جرياكوتي ومنها إلى مدرسة أعظم كره ثم سافر بعدها إلى أماكن متفرقة طلباً للعلم إلى لاهور وديوبند ولكهنو وغيرها .^(٢٥)

وفيما يتعلق بالعربية درس شبلي المتنبّي وقرأ كتاب جمهرة العرب وحفظ عن ظهر قلب ديوان الحماسة ورغب في كتابة اللغة العربية السهلة بعد مطالعته لكتب الجاحظ التي وجدها في عليكره . وتأثر بأستاذه فيضي الحسن (متوفى ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م)^(٢٦) كما قرأ شبلي الحديث على يد الشيخ أحمد علي سهارنبوري .

سافر شبلي للحج وهو لم يتجاوز التاسعة عشرة بعد وكان ذلك سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م وقد كتب شبلي عن سفره هذا وعبر عن حبه الشديد للعرب والعربية ، فيذكر

أهل الجزيرة العربية وما يتصفون به من كرم وبساطة ويعلن عن فرحه لأن فطرتهم لم تلوثها المدنية الحديثة ويشيد بحسن أخلاقهم^(٣٦).

كانت رحلة شبلي إلى الحج مفيدة من جميع النواحي فقد تعلم الفرق بين اللغة التي يتعلمها من الكتب واللغة التي يتعلمها بالمعاشة^(٣٧). وفي المدينة المنورة راح شبلي يتجول بين المكتبات وذكر أنه شاهد مصادر ومراجع عن علم الحديث لا يعتقد أنه رآها في أي مكان آخر^(٣٨).

ويذكر شيخ محمد إكرام نقلا عن سلمان الندوي في كتابه «يادكار شبلي»^(٣٩) أن شبلي كان يبحث في المدينة عن كتب الحنفية بالإضافة إلى الكتب التي تتحدث عن الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب «في المدينة المنورة راح (شبلي) يبحث في المكتبات عن كتب المذهب الحنفي والكتب التي تتناول حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخاصة وأن مفكري الهند كانوا مشغولين في تلك الأيام بكل ما يتناول هذه الحركة، ولهذا راح شبلي يبحث عن الكتب التي تتناول هذا الموضوع»^(٤٠).

وبالإضافة إلى هذه الكتب ذكر شبلي أنه شاهد كتاب ابن عبد البر «كتاب التمهيد» وهو شرح لموطأ الإمام مالك، كما ذكر أنه رأى «دائرة المعارف في الحديث» وقال عنها: «لقد رأيت مخطوطتها في المدينة المنورة»^(٤١).

٣ - أثر الاتجاه الإسلامي في العلاقة بين شبلي وحركة عليكره :

ارتبط شبلي بحركة عليكره ارتباطاً وثيقاً رغم اختلافه مع سيد أحمد خان في بعض الأمور الأساسية واعترف شبلي بفضل كلية عليكره عليه إذ قال :

«والخلاصة أن كل ما تعلمته وكل ما حققته من رفعة شخصية كان عن طريق هذه الكلية ومن هذه الناحية أقول إنني كما كنت أستاذاً في هذه الكلية كنت أيضاً طالباً من طلابها»^(٤٢).

وكما سبق وذكرنا كان شبلي يولي اهتماماً كبيراً لتعليم وتدريس العربية وعلوم الدين، ومن هنا كان هذا الأمر مسألة اختلافية بينه وبين سيد أحمد خان، إلا أن

السبب الرئيس الذي جعله يترك علي كره فكانت أمنيته في أن يكرس كل وقته وجهده للتأليف،^(٣٣) ومن المعروف أن علاقته بالكلية ظلت قائمة حتى سنة ١٩١٣م، فلم يكن سيد أحمد خان بالسوء الذي يذكره البعض كما أوضحنا قبلاً، فهذا هو العلامة سيد عبدالحى (والد العلامة أبي الحسن الندوي) يمتدح في سيد أحمد خان خدماته للأمة الإسلامية في خطاب أرسله إليه يقول فيه :

«وأنا أعترف بأنك سيد القوم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣٤) لكن ما اختلف فيه معك هو ما يتعلق بالدين والأمة في تلك الأمور التي انحرفت فيها عن جادة الطريق». ^(٣٥)

وقد رد سيد أحمد خان على هذا الخطاب بقوله :

«مولانا ومخدومنا مولوي سيد عبدالحى .

وصل خطابك المملوء بالنصائح القيمة، وأشكر لك اهتمامك وعاطفتك الإسلامية وأدعو الله لي ولك وللمسلمين جميعاً بهذا الدعاء : ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾. ^(٣٦)

ويقول د. سيد عبدالله إن كلام شبلي النعماني ليس مختلفاً كثيراً عن كلام سيد أحمد خان فيما يتعلق بترتيب علم الكلام من جديد إلا أن شبلي كان يود أن يتم ذلك بطريقة لا تجعله يحيد عن الأصول التي حددها علماء السلف وكان شبلي على معرفة جيدة بجماعة الفكر الجديد وعلى معرفة جيدة أيضاً بجماعة العلماء القدامى ، ومن هنا كان في استطاعته أن يبقى في وضع وسط بينهما، وكان نتيجة لموقفه المعتدل، ونتيجة لوسطيته يعرف متى يسكت ويتوقف أحياناً عن الإدلاء بأي رأي فيما يثار من قضايا. ^(٣٧)

والسؤال الذي يفرض نفسه هو لماذا عارض شبلي حركة علي كره رغم ارتباطه بها هذه السنوات الطوال؟!

درس شبلي النعماني في ظل النظام الراجح في زمانه إلا أنه استفاد بطريقة أو بأخرى من مختلف الشيوخ والأساتذة الذين ينتمون إلى مدارس فكرية متنوعة وفي مناطق مختلفة من شبه القارة الهندية، ومن هنا لم يتوقف فكره عند مدرسة دون أخرى أو عند

شيخ دون آخر ولهذا ابتعد عن التعصب لفكرة ما أو رأي ما، دون التساهل على الإطلاق في أصول الدين، ولهذا حين طالع ما يتعلق بحركة سيد أحمد خان وجد فيها الكثير من الأفكار التي يتبناها هو شخصيا ولأن حركة سيد أحمد خان أنارت له طريقا يمكنه لو مضى عليه أن يطبق أفكاره بصورة عملية. . ولكنه حين مضى على هذا الطريق، طريق حركة عليكره لم يستطع أن يرى فيه تفسير حلمه الذي كان يحلم به، بلا شك وجد فرصة للتعرف على الأفكار الغربية والأبحاث العلمية الغربية ومناهج البحث الغربية، وأكبر فائدة حققها كانت مصاحبته للبروفسور أرنولد العالم الإنجليزي الذي أطلع شبلي على سبل ووسائل البحث الجديدة، مما أتاح لشبلي أن يقيم بنفسه أصولا يتبعها في أبحاثه، ومن خلال عليكره شعر شبلي أيضا بضرورة تعلم اللغة الانجليزية أو أي لغة أخرى أوربية، وضرورة أن يعد الناس ويقنعهم بهذا الأمر. (٣٨)

ورغم هذه النتائج الإيجابية إلا أن شبلي من ناحية أخرى وجد فرصة لأن يحلل ويفحص عن قرب مواطن الضعف في حركة علي كره، وكلما مضى الوقت كلما اتضحت له هذه المواطن أكثر فأكثر حتى إنه كتب إلى أحد أصدقائه يقول:

«بعد أن جئت هنا نضجت جميع أفكارى، عرفت أن الجماعة المثقفة ثقافة انجليزية جماعة مهملة تماماً، لا تهتم أبدا بالدين وأن ما يقال عن سعة الفكر، والحرية الحقيقية وعلو الهمة وحماسها للتطور كل هذا مجرد شعارات لا أكثر، وكل ما تراه هناك هو عرض للقمصان و«البنطلونات»، وقد أثبت لي الشباب من مدينتي من الحاصلين على درجة البكالوريوس أنهم ضعاف تماماً في الأمور الدينية، لا حول ولا قوة إلا بالله. . فهؤلاء المساكين لا يمكن أن يفهموا حتى حركة دوران الأرض وسر سيد أحمد خان يقول إن اللغة الإنجليزية لا تغير شيئاً مما في أدمغتهم». (٣٩)

ويتضح من هذه الشكوى أن الخطة التي كانت في ذهن شبلي من أجل وضع برنامج للتعليم الجديد لمسلمي شبه القارة بدت غير مكتملة في عليكره نظراً لبعض الصعوبات غير الواضحة، ولهذا نراه يعود من عليكره دون أن تتحقق آماله التي عقدها على هذه الكلية». (٤٠).

وقد يلوم البعض شبلي لأنه ترك عَلَيْهِ بعد خدمة سنوات طويلة لكن ما كان يمكن لشبلي وجد قبولاً لدى العلماء من داخل وخارج عَلَيْهِ نفسها^(١١) فمن المعروف أن أبا الكلام آزاد وسيد سليمان الندوي ورفاقهما عارضوا أفكار سيد أحمد خان، وما حدث لشبلي مرده إلى أن الهدف السامي الذي من أجله أنشئت كلية علي كره لم يمكن تحقيقه ومن أجل هذا الهدف السامي نفسه ترك شبلي عَلَيْهِ وشارك في وضع أساس ندوة العلماء .

فالسبب في إيجاد هذه الهيئة أو المؤسسة الجديدة أو المدرسة الجديدة يرجع أساساً إلى آراء شبلي في التربية والتعليم على أساس إسلامي^(١٢) فهو يرى ضرورة حصول المسلمين على العلوم الجديدة وعلى لغة أجنبية يقول: «ما لم يتعلم المسلم لغة أوربية وما لم يطالع ويدرس ويتعلم العلوم والفنون العصرية فلن يمكن أن يواكب تطور العصر الحاضر».^(١٣)

ورغم أن سيد أحمد نادى أيضاً بضرورة تعليم المسلمين العلوم الجديدة إلا أن الفرق شاسع بين أسلوب شبلي وأسلوب سيد أحمد خان وبين هدف كل منهما فسيد أحمد خان يرى أن المسلم يمكن أن يصير انجليزيا في كل شيء عدا الدين، بينما هدف شبلي كان الحفاظ على العقائد الإسلامية والأخلاق الإسلامية وقبول ما هو مفيد فقط من أمور العصر الحديث وبعبارة أخرى يرى الأول أن يكون المسلم على استعداد لتقليد أوربا تقليداً كاملاً لتحقيق التطور والرفق بينما الآخر يرى أن يأخذ المسلم فقط الأمور التي لا تتعارض مع عقيدته، ولهذا نرى شبلي حزينا أسفا على معلومات طلبة العلوم الجديدة فيما يتعلق بالدين من ناحية ومن ناحية أخرى نراه قلقاً من أجل الحالة السيئة التي آلت إليها المدارس القديمة.^(١٤)

وعلى العكس من سيد أحمد خان يرى شبلي النعماني أن تحصل العلوم الجديدة رغم لزومها فإنه لا يجب أن يكون تعلمها بطريقة تجعل المسلمين يهملون تعلم علومهم ودينهم، وفيما يتعلق باللغة الإنجليزية يرى أنه لا حرج في تعلمها على أن يكون تعلمها بالدرجة التي تجعل الدارس يعرفها بحيث يمكنه عن طريقها نشر الإسلام في أوربا والرد على المستشرقين الذين يقدمون الإسلام - أحياناً - بطريقة خاطئة نتيجة

لقلّة علمهم به أو بتعمد بعضهم تقديم شعائر الإسلام بطريقة خاطئة، فعلى المسلم آنذاك أن يقدم الإسلام وتعاليمه عن طريق عرض الحقائق أمام المهتمين بأسلوب واضح وتعلم الإنجليزية بأكثر من هذا الحد لا أهمية له.

ويرى شبلي أنه لن يستفاد من متعلمي اللغة الإنجليزية في تقديم خدمات دينية كالإمامة والوعظ والإفتاء.^(٤٥)

ولكن إذا لم تتمكن اللغة الانجليزية والعلوم الجديدة من تخريج عالم مسلم يمكنه أن يلقي الإسلام ويعلمه بلغة جديدة فإن جميع هذه العلوم والآداب تصبح أموراً لا فائدة منها.

وإذا كان شبلي يؤكد على هدف العلوم الجديدة وينتقد بعض مساوئ التعليم الجديد الرائج في بعض بلدان الشرق فإنه من ناحية أخرى يبنه العلماء القادة من أصحاب مدرسة التعليم القديم ألا يعارضون العلوم الجديدة، وتعلم اللغات الأجنبية دون وجه حق، ويحثهم على ترك هذه المعارضة فالأخذ بالمفيد من هذه العلوم لا قباحة فيه. يقول شبلي «إذا استمر علماءنا الدينيون في إصدار فتاويهم بعدم جواز تعلم العلوم الجديدة واللغات الأجنبية فيجب عليهم أن يتركوا منصب القيادة وأن ينفصلوا عن جماعة العلماء الآخرين».^(٤٦)

وإذا كان شبلي قد اهتم بالعلوم الجديدة واللغات الأوربية فهذا أمر، أما العلوم الشرقية واللغات الشرقية فهي عنده فوق كل شيء، فهو يرى أن المسلم لو ضحى بالعلوم الشرعية وتعلم اللغة العربية في سبيل التطور والرفي فلن يبقى مسلماً مهما تطور ومهما ارتقى.^(٤٧)

إسهام شبلي في جهود الندوة التعليمية والأدبية :

ظهرت حركة ندوة العلماء لتتوسط بين اتجاهين : اتجاه مدرسة ديوبند [أسسها الشيخ محمد قاسم النانوتوي المتوفى ١٢٩٨هـ في قرية ديوبند التابعة لمدينة سهارنپور] واتجاه كلية عليكره وقد أوجد فكرتها الشيخ محمد علي المونكيري^(٤٨) وقادها العلامة شبلي النعماني وزملاؤه «إذ كانت دار العلوم التابعة لها - كما يقول الشيخ أبو الحسن

الندوي - جديرة بإحداث قنطرة تصل بين الثقافتين الإسلامية والغربية وبين الطبقتين: طبقة علماء الدين وطبقة المثقفين العصريين وكانت كما أراد لها أهلها تجمع بين القديم الصالح والجديد النافع وبين التصلب في الأصول والغايات والتوسع والمرونة في الفروع والآلات»^(٥٠).

وهكذا تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ الاعتدال والجمع بين الدين الخالد الذي لا يتغير والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وكذلك الجمع بين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والنصوص، ومن هنا كان منهج الدراسة فيها خاضعاً للتغيير والتطوير ليتماشى مع العصر، وعينت دار العلوم عناية خاصة بالقرآن الكريم وباللغة العربية وأبدلت بعض العلوم القديمة أو قللت منها ووضعت علومها عصرية لا غنى للعلماء عنها.^(٥١) وقد أوضح شبلي النعماني هذه النقطة حين ذكر أن «هذه العلوم اليونانية ليست علومنا الدينية ولا يتوقف عليها فهم ديننا ومعرفته. إن الإمام الغزالي في عصره قد ضم هذه المواد الدراسية إلى مناهج التعليم في عصره لكي يطلع العلماء على الأساليب الجدلية اليونانية التي نشطت في نشرها الفرق الباطنية في ذلك الوقت، لكن الآن لا وجود لأولئك الملاحدة ولا لتلك العلوم اليونانية، ولا يعتقد صدقها وصحتها المتنورون ولا من يدعي الفطنة لذلك فقد تأثرها ولا خطر على الإسلام اليوم منها وقد احتلت مكانها علوم حديثة وقضايا جديدة ودراسات وأبحاث جديدة وقد أصبح من الضروري أن يطلع علماءنا على الأبحاث الجديدة والعلوم العصرية المفيدة ليقدموا حلولاً للمعضلات الحديثة وليردوا على الشبهات رداً علمياً مؤسساً على الدراسة والتحقيق».^(٥٢)

ومن هنا فالضرورة الأساسية لتأسيس الندوة كانت إصلاح منهج التربية والتعليم. وكان شبلي يريد أن تكون الندوة ملتقى للقديم والجديد. ملتقى لنهرين يلتقيان عند نقطة واحدة فيمتزجان معاً وهكذا يُسدّ النقص الموجود في مدرسة ديوبند ويكمل النقص الموجود في التعليم الديني في مناهج كلية علي كره^(٥٣) وواجه شبلي في البداية معارضة شديدة فيما يتعلق باللغة الإنجليزية ثم واجه بعدها مسألة: إلى أي مدى تدرس هذه اللغة؟^(٥٤)

على كل حال كان شبلي يهدف إلى إصلاح التربية والتعليم مؤمناً بضرورة الإصلاح التدريجي البطيء لأنه يأتي دائماً بنتائج طيبة وثابتة وألا يُجبر العلماء الذين لا يؤيدون الإصلاح على أن يتبعوا خطوات هذا الإصلاح، ورأى أنه إذا وجد البعض أنه لا ضرورة لتعلم الإنجليزية للرد على غير المسلمين ممن كانوا يهاجمون الإسلام فليكن لهم ما يريدون لأن العلماء الذين لا يعرفون الإنجليزية يمكن أن يؤدوا خدمات أخرى جلية مثل التعريف بالإسلام الصحيح بين أهل القرى من المسلمين من غير المتعلمين الذين يحتاجون لمئات الآلاف من الفقهاء والشيوخ والوعاظ، ولهذا فإن تقسيم العمل في سبيل خدمة الإسلام بضع ما ذكر قبلاً في يد هذه الجماعة التي يجب تأييدها ومساعدتها واحترامها كل الاحترام.^(٥٥)

وهكذا يتضح أن شبلي كان يريد أن يجمع الفريقين معاً دون تفريق وذلك من أجل خدمة الإسلام ولتأكيد أواصر الأخوة والمحبة بين المسلمين، كل ما كان يتمناه هو تربية هذه الجماعة من أصحاب التعليم القديم على التسامح والتعامل بالحسنى وسعة الصدر بحيث يجلس أصحابها مع أصحاب التعليم الجديد في مجلس واحد متحابين متآخين لا تشعر طائفة أنها أمام طائفة منافسة لها.^(٥٥)

وقد انتقل شبلي إلى الرفيق الأعلى وقد حقق بعض ما أراد من آمال في الندوة، ورغم ما بذله من جهد إلا أن من جاؤوا بعده لم يتمكنوا من إيجاد التوازن الذي أراد من حركته الإصلاحية ولهذا فالندوة التي أسست لتكون ملتقى للقديم والجديد في ظل إصلاح النقص الموجود في ديوبند وعليكره انحرفت عن طريقها وصارت علماً للقديم لا أكثر.

وقد اعترف بهذا الشيخ أبو الحسن الندوي الذي يرى أن هذه الحركة لم تحظ بالتعاون الواسع المتحمس الذي كانت تستحقه من الطبقة القديمة والجديدة لانتساع الفجوة بينهما، ولوجود التطرف والمغالاة فيها، وبعض الخلافات التي حدثت في صفوف العاملين لهذه الفكرة^(٥٦) ثم لعدم وجود طبقة من الأساتذة والموجهين الذين تبحروا في الثقافتين وأحسنوا هضمهما وكونوا من هذه المواد التي قد تبدو متناقضة رقيقاً صافياً نافعاً.^(٥٧)

إلا أن الشيخ أبا الحسن الندوي يرى أيضاً أن فكرة ندوة العلماء لا تزال الفكرة الوسط الحقيقية التي تستطيع أن تنقذ نظام التعليم الديني من الانهيار وتتفادى بها الأمة الصراع بين القديم والجديد.^(٥٨)

تولى شبلي عمادة دار العلوم بندوة العلماء فكان جديراً بها لأنه كان في قرارة نفسه يراها المكان المناسب له لتحقيق أهدافه وأمانيه «وكان وجوده في دار العلوم وتفرغه للعمل بها سبباً في وجود حياة جديدة بين الطلاب الذين رأوا وكأنه «الخضر» على الطريق.

أثبت شبلي في الطلبة الرغبة في المطالعة والقراءة وكتابة المقالات والأبحاث وكذا الخطابة، وكانت مجالسه لا تخلو أبداً من مناقشة القضايا العلمية وذكر الكتب ومؤلفيها والمباحث الكلامية والتاريخية ومناقشة موضوعات الشعر والأدب وغيرها، وكان عامل جذب للطلبة الممتازين، فقدم إلى الدار أبناء العائلات المسلمة التي لها مكانتها في المجتمع، وكان شبلي بدوره يتولى من يرى فيهم ذكاءً ونبوغاً ونشاطاً بالرعاية والاهتمام، فيكلف هذا بكتابة بحث ويعد هذا ليكون خطيباً ويوجه هذا للقراءة والمطالعة وهكذا امتلأت الندوة بخيرة الطلاب والباحثين منهم الشيخ سيد سليمان الندوي والشيخ عبد السلام والشيخ ضياء الحسن علوي الندوي، والشيخ عبد الباري الندوي والشيخ مسعود علي الندوي وحتى أبوا للكلام آزاد الذي لم يكن أبداً من تلاميذ الندوة أقام في دار العلوم وشارك في مجالس شبلي العلمية والأدبية وتولى أيضاً تحرير مجلة الندوة.^(٥٩)

كان شبلي ركناً ركيناً في ندوة العلماء وكانت لكتاباته العلمية والأدبية ولرسائله وأبحاثه تأثير كبير في إعادة ثقة الجيل الجديد بالثقافة الإسلامية ومكافحة مركب النقص فيه.^(٦٠)

وقد شعر شبلي نفسه بنجاح الندوة في رسالتها وأنها ستبقى على الدوام تخدم مسلمي الهند^(٦١) إلا أن بعض العلماء ممن لم يكن ليوافق على أن يظل شبلي في موقع القيادة رأوا أن يتفرغ شبلي لخدمة الندوة من موقعه كأحد أفرادها وحدث أن كتب أحد مدرسي دار العلوم ندوة العلماء مقالا عن الجهاد [جريدة الندوة يونيه ١٩١٢م] مما أثار

الحكومة ضد الندوة وحدث خلاف بين العلماء اضطر شبلي بعده إلى الاستقالة من إدارة دار العلوم [يوليه ١٩١٣م] واستقال بعده سيد عبدالحى ومثني احتشام علي، وتمت الموافقة على استقالة شبلي فقط.

ورد الفعل الذي أعقب استقالة شبلي يدل دلالة قاطعة على مكانته في الهند كلها^(١٢) ولولا إخلاص القائمين على الندوة من العلماء الطيبين لصارت الندوة - كما يقول أبو الحسن الندوي - حكاية تتناقلها ألسن الناس وتقرأ في كتب التاريخ، ولصارت مبانيها تزار كما يزار قديم الآثار^(١٣).

ورحل شبلي عن هذا العالم في ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٣٢هـ - نوفمبر ١٩١٤م فكان في رحيله عبرة وعبرة غسلت الجراح التي لم تتمكن الخطب ولا المقالات من غسلها، وذابت المرارة التي ظهرت بين نفوس البشر نتيجة للاختلاف المخلص في الرأي، ورغم هذا فقد تم إجراء الإصلاحات وتعديل لنظام الإدارة وأعلن أبو الكلام آزاد في أبريل (١٩١٥م) انتهاء جميع الاختلافات بين العلماء تلك الاختلافات التي طفت على سطح الندوة لفترة طويلة.

هـ - اتصال شبلي بالعالم العربي ورحلته :

اتصل شبلي النعماني بسيد أحمد خان اتصالاً وثيقاً، بعد تعيينه أستاذاً للعربية والفارسية، وقد أسند إليه سيد أحمد خان أيضاً تدريس القرآن الكريم، وهكذا أوجد شبلي جواً دينياً داخل الكلية ساعد على إيجاده أيضاً سيد أحمد خان نفسه والطلبة من ذوي النوايا الطيبة وقد عبر شبلي عن هذا الجو في خطاب لأحد أصدقائه.

«لا تسألني عن حالي في هذا الوقت، لا تسألني عما يدور، استمع سوف أخبرك عن الحالة الجديدة التي طرأت على مدرسة العلوم وكلّي حماس ينبعث من أعماق قلبي، فمن قواعد مدرسة العلوم وأصولها أن يصلي الطلبة المغرب في جماعة، لكن هذه الأيام تغير اتجاه الريح، فقد أسس الطلبة أنفسهم مجلساً أطلقوا عليه اسم «لجنة الصلاة» سكرتيرها طالب في السنة النهائية (البكالوريوس) وأعضاؤها في معظمهم من

المثقفين، في الساعة الرابعة صباحاً يقوم أحد الطلاب فيصيح في تلك الجماعة التي تدرس بالإنجليزية بالعبرة المؤثرة «الصلاة خير من النوم».

وهكذا تؤدي الصلوات الخمس في جماعة، والأمر المفرح أن هذا يتم بإرادة الطلاب المحضة ولا يوجد أبداً أي ضغط خارجي عليهم..

أما صلاة المغرب فسبحان الله! يالها من عظمة، ياله من جلال، أمر يفرح القلب ويسعده، وسيد أحمد خان نفسه يشترك في الصلاة ولأنه عامل بالحديث فهو ينطق آمين جهراً، وينطلق صدى آمين فيثير الدم في عروق العاطفة الدينية الجياشة، أحاضر أحيانا عن الإسلام والاستعدادات تمضي لبناء المسجد، إني لأفخر إذ وفقني الله ليكون لي نصيب في إيجاد هذه الحياة الجديدة وأن يكون لي نصيب في إيجاد هذا الحماس الديني والعاطفة الدينية^(١٤).

والحقيقة التي أحرص على بيانها هنا أن سيد أحمد خان لم يكن بالسوء الذي تصوره به المصادر العربية وبعض المصادر الأردنية، فقد كان الرجل - يرحمه الله - يتطلع إلى العالم الإسلامي العربي ويحاول أن يستفيد من تجاربه بما يتوافق مع ظروف مسلمي الهند، وحين طبع أول عدد من مجلته «تهذيب الأخلاق» في ٢٤ ديسمبر ١٨٧٠م ناقش الحركة القومية العربية التونسية التي تأثرت كثيرا بالفكر الغربي، وكانت صحيفة «الرائد التونسي» تصل بانتظام إليه وكانت تحمل الشعار التالي في الصفحة الأولى:

«حب الوطن من الإيمان فمن يسعى في عمران بلاده إنما يسعى في إعزاز دينه».

ورأى سيد أحمد خان أن هذا الشعار مناسب لتونس حيث تعيش أمة واحدة على أرض واحدة لكن الأمر يختلف في الهند لهذا وضع هذا الشعار:

«حب الوطن من الإيمان فمن يسعى في إعزاز قومه إنما يسعى في إعزاز دينه»^(١٥)

فسيد أحمد خان كان يسعى إلى التخلص من العادات الهندوكية وإحلالها بعادات من بلاد العرب المسلمين على أن يأخذ ما لدى الغرب من حضارة بمفهومها لديه، مما ووجه باعتراض العلماء وكان شبلي واحدا منهم أيضا.

وقد أوضح هذه الحقيقة العلامة سيد سليمان الندوي فقد كتب سنة ١٩١٥م

مقدمة لكتاب شبلي الغزالي^(١٧) أشاد فيه بزعيم المصلحين وشيخهم سر سيد أحمد خان. ولا شك أن سيد أحمد خان كما يقول الشيخ محمد إكرام - قد ركز على حقوق المسلمين وقوميتهم المنفصلة المستقلة ووضع البذرة التي أثمرت في النهاية دولة باكستان.^(١٧)

ولم يكن الاختلاف بين شبلي وسيد أحمد خان اختلافاً كبيراً. فالاثنان عاشا ست عشرة سنة متجاورين يتناولان طعام العشاء في الأكثر معاً تربطهما رابطة قوية وكان الاهتمام بالعربية وعلومها وأدبها من الأسباب التي أوجدت الخلاف بين شبلي وسيد أحمد خان.^(١٨)

وفي سنة ١٨٩٢م / ١٣٠٩هـ رأى شبلي السفر إلى البلاد العربية وإلى تركيا وعاد من سفره وبعد سنتين كتب رحلته بعنوان «سفرنامه روم ومصر وشام».^(١٩)

سافر شبلي إلى استانبول ومنها إلى الشام ثم القاهرة ورحلته رحلة علمية اهتم فيها بالكتابة عن المدن، المكتبات والمدارس وأماكن العلم وركز بصفة خاصة على موضوع التربية والتعليم والمناهج العربية، وذكر الكتب النادرة والمخطوطات التي اطلع عليها في مصر وتركيا.

كتب شبلي رحلته وهو يشعر بمسؤولية كاملة فلم يمدح الترك ولم يمدح العرب بل انتقد ما رآه موضوعاً للنقد نقداً صريحاً، والحقيقة أن الرحلة مرآة لمشاعره الجياشة وتعاطفه الشديد مع المسلمين فكان يسكب الدموع غزيرة على أحوال المسلمين إذا ما شاهد ما يدعو للحزن بينما كان يبدو فرحاً سعيداً كلما شاهد تطوراً ولو بسيطاً بين أوساط المسلمين وكان يحب العرب حباً جماً ووضح هذا من خلال كتاباته عن سفره^(٢٠) وكتاب «الرحلة» كتاب عمدة، فيه لطائف وقطائف، مزج فيه الأشعار العربية والفارسية والأردية ويصنف ضمن أدب الرحلة.

أوضح شبلي في مقدمته لرحلته الأخطاء التي يقع فيها المؤلفون الأوروبيون الذين يأخذون بظاهر الأمور ويعممون الجزئيات على الكلليات فقال «لي صديق متسامح غير متعصب عالم زار مصر وتركيا ورجع فسألته هل شاهدت الجامع الأزهر وتجولت فيه فقال: كم كان شوقي لذلك لكن دليلي قال إنه لا يسمح للنصارى بذلك، مع أن

هذا خطأ فقد أقمت أنا نفسي في الأزهر شهراً وكان كثير من أصدقائي النصارى يأتون للقاءني بالمسجددون أدنى مشقة أو كلفة، لكن لأن أوربا اعتادت على التفكير بأن المسلمين متعصبون، فلم يحاول صديقي التدقيق فيما قاله له دليله أثناء محاولته زيارة الأزهر»^(٧١).

على سطح الباقرة كان شبلي يدرس العربية للسير آرنولد، وشاهد إسبانيا يغلي من داخله ويحاول تقليد شبلي ساخرًا منه، وفي عدن يشاهد أطفالاً يلعبون كالقروود للحصول على هبات من المسافرين، ففزع شبلي وقال أهكذا يكون أولاد العرب، وحين أخبره آرنولد أنهم ليسوا بعرب بل من الصومال، نظم شبلي أبياتاً في هجائهم،^(٧٢) وأشار شبلي بسرور إلى وجود الهنادكة الذين يتحدثون العربية في عدن (ص ٣٢) كما أوضح تضاييق مسافر ألماني لأن قائد الباقرة كان يتحدث مع آرنولد ومع شبلي بالعربية^(٧٣) وفي قبرص زار كتاباً ملحقاً بأحد المساجد يدرس فيه أحد الشيوخ للصبية القرآن الكريم، واستمع شبلي إلى قراءة صبي فانتابته مشاعر عبر عنها بقوله:

«طراً على قلبي أثر عجيب ورحت أفكر أين صحراء الحجاز من تلك الجزيرة البعيدة في بحر الروم، وأي تأثير لهذا الكلام المقدس (أي القرآن الكريم) الذي تحول إلى شحنة كهربائية انتقلت بسرعة من الشرق إلى الغرب ولا يزال تأثيرها باقياً حتى اليوم كان صوت الطفل البريء عذبا، وكان يقرأ ملتزماً بأصول القراءة، وكانت الآيات التي قرأها مؤثرة، فجعلني هذا الموقف أفقد وعيي وسيطرت عليّ لفترة حالة عجيبة»^(٧٤).

وفي القسطنطينية (استانبول) التقى بالشيخ عبدالفتاح الدمشقي والشيخ علي الظبيان الذي نظم قصيدة غير منقوطة في مدح السلطان. وفي القسطنطينية أكمل شبلي قصيدة نظمها عن رحلته (٧٢ بيتاً من الشعر).^(٧٥)

اهتم شبلي بنظام التعليم في تركيا وأشاد بترجمة الأتراك لأهمّ الكتب العربية،^(٧٦) وزار المكتبات ودقق فيها يقول:

«كتب ابن رشد خلاصة مفيدة وجامعة لمؤلفات أرسطو، هذه الخلاصة مفقودة لكنها كانت ترجمت إلى اللغة اللاتينية وكانت الترجمة موجودة في مكتبات أوربا، فقام

عالم تركي يدعى أسعد أفندي بترجمة الخلاصة عن اللاتينية مع إضافات من عنده وقد رأيتها في مكتبة راغب باشا»^(٧٧).

ويحزن شبلي لأن هذه الكتب القيمة النادرة قابعة لا يستفاد منها فالمكتبات تفتح في النهار لمدة ثلاث ساعات، كما أن العطلة ثلاثة أشهر في السنة ولا أحد يهتم بالكتب النادرة وقد يحملها شخص ويمشي دون أن يتعرض له أحد.

ويأسف شبلي لأن «نظام التعليم في العالم الإسلامي كله نظام سيء للغاية فالناس لا يهتمون إلا ببعض الكتب الدراسية ولا يرغبون في مطالعة الجديد من الكتب مما نتج عنه ضياع روح الجدة والاختراع في الأمة وما تبقى من أمل ضعيف قد يضيع في المستقبل»^(٧٨).

وفي بيروت يطلع شبلي على نظام المدارس ويورد إحصائيات دقيقة عن عددها وانتفاءاتها وعدد الدارسين وانتفاءاتهم^(٧٩).

وقد كتب البروفسور انطون صاحب جريدة «البشير الأسبوعية» عن زيارة شبلي فقال: «اجتمعنا في هذه الأيام على حضرة العالم الشيخ شبلي النعماني المعلم الأول للعلوم العربية ببلدة علي كره من بلاد الهند فرأينا فيه رجلاً كثير المعارف وهو حائز النيشان المجيدي من الرتبة الرابعة. أقام الأستاذ في الأستانة مدة ثلاثة أشهر وحضر إلى بيروت وتوجه (هذه) النهار إلى زيارة بيت المقدس ومنها إلى مصر ثم إلى بلاد الهند»^(٨٠).

وفي القدس التقى شبلي بالعلماء وزار زاوية الهنود في «يافه» والتقى بعلماء المسجد الأقصى وبالمفتي سيد طاهر^(٨١).

كانت زيارة شبلي للقاهرة على درجة من الأهمية نظراً لأنه - كما اعتقد - حمل منها منهج التعليم المعمول به في دار العلوم ليطبقه فيما بعد - بعد تعديله بما يتناسب وطلاب شبه القارة الهندية - في دار العلوم بندوق العلماء في لكهنؤ.

كتب شبلي عن دار العلوم ما يلي:

«ما أعجبنى من كليات في مصر - وليس في مصر وحدها بل في جميع البلاد

الإسلامية - كلية دار العلوم ، تلك التي اعتبرها كافية للقضاء على آلام المسلمين ، وأنا دائماً أعتقد وسوف أظل على اعتقادي هذا بأن المسلمين مهما وصلوا من رقي في العلوم الغربية دون أن يكون بداخلهم أثر التعليم الشرقي فإن رقيهم هذا لا يمكن أن نسميه رقياً ، ولا شك أن النظام الحالي للتعليم الشرقي سيء جداً إلا أنه يتضمن من داخله أموراً هي روح الأمة الإسلامية ، والتعليم الذي يخلو من الأثر الروحاني على الأخلاق لا يمكنه أن يُحمي في المسلمين دينهم وقوميتهم وتاريخهم وأي شيء آخر لديهم ، والمصيبة التي تبكينا في الهند هي نفسها الموجودة في إستانبول وبيروت ومصر ، وهي أن تأثير القومية الإسلامية ، والتأثير الديني في التعليم الجديد لا وجود له . كما أن التعليم القديم ليس جديراً بالمضي مع مستلزمات وضروريات الحياة الحالية - فقط دار العلوم - هي الكلية التي تريد أن تجمع الشئئين معاً . مع أنه للأسف لم تنجح في ذلك نجاحاً كاملاً» .^(٨٣)

ويقول شبلي :

«لقد كان علي باشا مبارك الذي درس التعليم الشرقي والتعليم الغربي معاً ، وعرف عدداً من اللغات الأوروبية وتقلد مناصب التعليم الهامة هو أول من فكر في هذا الأمر ، فأراد أن يصلح نظام التعليم في مصر إلا أن شيوخ الأزهر رفضوا ذلك . وبعدها أسس هذه الكلية» .^(٨٣)

حضر شبلي دروس أساتذة دار العلوم وأشاد بالأستاذ وهو يدرس دون الاعتماد على قراءة كتاب أو دفتر وكان المعلومات كلها منقوشة على صفحة قلبه ينطق بها لسانه ، والتقى شبلي بالشيخ حمزة فتح الله أستاذ الأدب والشيخ حسن الطويل معلم الحديث والدكتور عثمان بك مدرس التاريخ الطبيعي ، وعدد من طلبة الكلية الذين صاروا فيما بعد من كبار الأدباء في العالم العربي ، وقد رحب أحد الطلبة بشبلي النعماني مرتجلاً هذه الأبيات :

محمد أنت شبلي المعالي لقد فقت الورى وعلوت قدرا
وقد أوليتنا شرفاً وفضلاً بتشريف زيارة أرض مصر
فلازلنا نراك بكل أنس تزيد تفضلاً وتزيد شكراً^(٨٤)

أما الأثر الذي تركته زيارة الأزهر في قلب شبلي فهو أثر سلبي ، فقد استاء شبلي كثيرا حين رأى حال الأزهر وقال عن طلبته إنهم يحطمون المسلمين بدلا من إفادتهم فنظام التربية الخاص هؤلاء الطلبة يسحب من تحت أرجلهم كل ملامح الحياة الشريفة العزيزة، إذ ينطلق هؤلاء في الأسواق يمدون أيديهم لا ينجلون وهم يحملون الخبز ووصلت دناءة الطلاب إلى درجة أنهم يقولون للباعة :
«أعطني هذا برأس سيدنا الحسين» .

هل هناك أمل في أناس هذه هي تربيتهم وهذا هو تعليمهم ، هل هناك أمل في أن يرفع هؤلاء من شأن الإسلام؟^(٨٥)

ولخص شبلي مساوىء نظام التعليم الذي في الأزهر آنذاك فقال :
«منهج التعليم ناقص غير كاف وغير مرتب ، ولا يوجد منهج محدد ولا التزام بسنوات دراسية ، ولا يوجد امتحان ولا قاعدة معينة لانتقال الطلاب من مرحلة إلى مرحلة تالية» .

ثم يشير شبلي إلى مكانة الأزهر في مصر :

«وحين أراد علي مبارك باشا إصلاح الأزهر تصدى له جميع علماء الأزهر وناصبوه العداء ولأن مكانة شيخ الأزهر في الوطن عالية اضطر علي مبارك باشا إلى صرف النظر عن هذا الأمر . فالأزهر في الحقيقة طاقة قومية والحكومة كسلطة لا يمكن أن تجرؤ على معارضته بسهولة» .^(٨٦)

وفي مصر زار شبلي المكتبات ودور الطباعة والصحافة والمسرح ومرة أخرى تجذبه اللغة العربية ففي المسرح أعجبه النشيد دون المسرحية كلها لأنه - كما قال - بلغة عربية مسجوعة :

العيش تم
والنفع عم
من الخديوي
المحترم . .

ويقول: «إن الذهاب إلى المسرح يتعارض مع الوفاق والاحترام» كما زار بعض الطرق الصوفية واستاء كثيراً مما رآه وقال:

«باللعجب من طريقة الدراويش الرقاصين إنها لسخرية وإهانة للزهد والتقوى والدين . . ولكن للناس فيما يعشقون مذاهب»^(٨٧).

لقد أفاد شبلي من سفره هذا فائدة جلية فقد التقى بعلماء مصر وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده يقول شبلي:

«قابلته واستمعت بحديثه وكان يتأسف على حالة التعليم السيئة في الأزهر، كما كان يشكو أيضاً من التعليم الجديد ويقول: هؤلاء أضل سبيلاً، وللأسف ولتته الحكومة منصب القضاء وكان من المناسب أن يتولى سلك التعليم وكان هو نفسه آسف لهذا الأمر»^(٨٨).

ومن هنا يتضح أن شبلي ومنذ السنوات الأولى لوجوده في عليكره كان يتوق إلى إصلاح التعليم والتربية عند المسلمين ويتوق إلى إيجاد نظام وسط يجمع بين القديم والجديد على أساس التمسك بأصول الدين والعقيدة الإسلامية الصحيحة.

وكان سفره هذا رحلة علم ودراسة: زيارة للمكتبات، لقاء بالعلماء، بحث عن مصادر لأبحاثه في المستقبل، بحث في نظم التربية والتعليم التي تتماشى مع الحضارة الإسلامية وترفع من شأن المسلمين في العالم كله، وهكذا نضج فكر شبلي ونضج أسلوب كتابته بالعربية فبدأ يوجهه للرد على منتقدي الإسلام والمسلمين وراح يكتب بالعربية دون تردد^(٨٩).

وكان شبلي قد كون لجنة باسم لجنة الأدب لتطوير تدريس اللغة العربية في كلية عليكره ولتدريب الطلاب على الكتابة بالعربية وعلى الخطابة بالعربية وراح يقرأ كتابات الطلاب ويستمع إلى أشعارهم وخطبهم، وكان من ثمار هذه اللجنة تلك الأشعار التي نظمها الطلاب والأساتذة محتفلين بأستاذهم حين نال لقب «شمس العلماء»^(٩٠).

ثانياً: شبلي والأدب :

اشتغل شبلي بالدرس والتدريس بعد عودته من الحج ولم يعمل بالمحاماة رغم أنه اجتاز امتحان المحاماة، فقد ملك عليه الأدب حياته، الأدب بمفهومه الواسع نثراً وشعراً وظهرت موهبته الشعرية في فترة مبكرة، ويحكى أنه كان في حاجة إلى عباءة وعزٍّ عليه أن يكون أبوه ذا مكانة عالية في القرية ولا يرتدي ابنه عباءة فكتب الابن لأبيه هذا البيت بالأردية وأرسله إليه :

أُيعقل أن يكون الأب صاحب تاج
والابن إلى عباءة محتاج^(١)
فسر الأب كثيراً وأنعم عليه بعباءة.

وكان الشيخ محمد فاروق جرياكوتي يتولى إصلاح أشعار شبلي. ^(٢) ومنذ البداية كانت أشعاره التي نظمها في صباه تبشر بمولد شاعر يقرض الشعر بالأردية والفارسية والعربية وهذا ما سنعرض له في موضعه.

١ - من كتابات شبلي النثرية في العربية :

كتب شبلي سنة ١٨٨٩م مقالا عن الجزية أعقبه سنة ١٨٩٢م بمقال عن حريق الإسكندرية، وقد نشرت مجلة المنار لمنشئها السيد محمد رشيد رضا في المجلد الأول ص ١٠٦/١٠٩، ١١٤ مقال شبلي عن الجزية بعنوان «الجزية والإسلام» ^(٣) رسالة لشمس العلماء الشيخ شبلي النعماني أستاذ العلوم العربية في مدرسة العلوم في عليكره (الهند) وهذا نموذج لأسلوب شبلي في العربية.

«اعلم أن الجزية من أعظم ما تعلق به (الأوروبائون) في القدح على الشريعة الإسلامية والخط من شأنها فمن ظان يظن أن الجزية لم يكن لها عين ولا أثر في جيل من الأجيال ودولة من الدول وإنما الشريعة الإسلامية هي التي أحدثت هذه البدعة وأسست بنيانها ومهدت لها أصولها وأركانها، ومن زاعم يزعم أن وضع هذه القاعدة لم يكن إلا إذلالاً لأهل الذمة وإهانة لهم فهي آية الذل وسمة الهوان وشعار الخزي

وعلاوة العار حتى إنه هان على كثير من الأقوام الدخول في الإسلام هرباً من احتمال الضيم والرضاء بالذل ولأجل هذا ترى (الأورباويين) إذا قرع سمعهم هذا اللفظ يمجّه سمعهم وتشتت من نفوسهم والحق أنهم غير ملمومين في ذلك فإن من أحاط علماً بنصوص المتأخرين من الفقهاء يستبين له في أول الأمر أن يوضع أمثال هذه الرسوم أقصى ما يقصد به إذلال قوم وإرغام أنفسهم مع أن الشريعة الإسلامية أبعد محلاً وأرفع شأنًا من أن يمسها عار أو يلحقها عيب وأبى الله إلا براءتها عن كل جور.

ولما رأيتهم يتهافتون في أمثال هذه الأغلاط أردت أن أكشف لهم عن جليلة الحال حتى لا أترك لنفسهم ريبة ولا شكاً، فنقول إن لنا في أبيات دعوانا أبحاثاً:
الأول في تحقيق لفظ الجزية والفحص عن مادته وصيغته.
والثاني في تحقيق أن الجزية متى كان حدوثها ومن أسسها أولاً.
والثالث في تحقيق الغرض الذي كان سبباً لاختيارها في الإسلام.^(٩٥)
وفي نهاية مقاله يقول شبلي:

«ولما بلغت من التعمق في البحث والإمعان في الفحص إلى هذا الحد حان لي أن أقول أطفئ المصباح، فإنه قد طلع الصباح، وماذا بعد الحق إلا الضلال وبالله ثقتي وعليه اعتمادي وهو العلي الكبير المتعال». ^(٩٦)

بعد انتقال شبلي النعماني إلى لكهنؤ والعمل مع رفاق ندوة العلماء كتب بالعربية بحثاً مطولاً نشرته جريدة المنار عام ١٣٣٠هـ في المجلد الخامس عشر على خمس حلقات ضمت خمسا وخمسين صفحة، وقدم صاحب المنار لهذا البحث هكذا:

«تاريخ التمدن الإسلامي لرجي أفندي زيدان صاحب الهلال مشهور وقد سبق لنا تقييظه في المنار ونقد بعض مباحثه.

وقد انبري في هذه الأيام الشيخ شبلي النعماني العلامة المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء في الهند ومحرر مجلتها [يقصد معارف] إلى الرد على هذا التاريخ. . . ولما كان الانتقاد من مثل هذا العالم المؤرخ هو ضالتنا وضالة صديقنا وصديقه المؤلف بادرنا إلى نشره معتذرين عما في أوله من شدة الحكم ووددنا لو لم يصحبه وإن أثبتته ولولا أنه طبعه لحذفناه منه». ^(٩٧)

وجاء في مقدمة مقال شبلي مايلي :

«إن الدهر دار العجائب . . . ومن إحدى عجائبه أن رجلا من رجال العصر يؤلف في تاريخ تمدن الإسلام كتابا يرتكب فيه تحريف الكلم وتمويه الباطن وقلب الحكاية والخيانة في النقل وتعمد الكذب ما يفوق الحد، ويتجاوز النهاية . . . وكان يمنعني عن النهوض إلى كشف دسائسه اشتغالي بأمر ندوة العلماء ولكن لما عمّ البلاء واتسع الخرق وتفاقم الشر، لم أطق الصبر فاخترت من أوقاتي أياما وتصديت للكشف عن عوار هذا التأليف والإبانة عما فيه من أنواع الإفك والزور وأصناف التحريف والتدليس» .

ويوجه شبلي حديثه إلى جرجي زيدان :

«إني أيها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فإنك قد نوهت باسمي في تأليفك هذا وجعلتني في موضع الثقة منك واستشهدت بأقوالي ونصوبي ووصفتني بكوني من أشهر علماء الهند مع أني أقلهم بضاعة وأقصرهم باعاً وأخلمهم ذكراً ولكن مع ذلك هل كنت ترضى أن تمدحني وتهجو العرب، فتجعلهم غرضا لسهامك ودرية لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو إليهم كل ذنية وشر حتى تقطعهم إربا إربا وتمزقهم كل ممزق، وهل كنت أرضى بأن تجعل بني أمية لكونهم عربا بحثا من أشر خلق الله وأسوأهم يفتكون بالناس ويسومونهم سوء العذاب ويهلكون الحرث والنسل ويقتلون الذرية وينهبون الأموال وينتهكون الحرمات ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقرآن» .^(١٧)

٢ - تطور الاتجاه الإسلامي في كتابات شبلي النشيرة (الأردية) :

إذا كان العلامة شبلي النعماني قد اختلف مع سيد أحمد خان فيما يتعلق ببعض القيم الاجتماعية والنظريات القومية والسياسية لكنها كانا يحملان وجهة نظر واحدة فيما يتعلق بالأدب، ومن أهم إنجازاتهما جعل اللغة الأردية لغة علمية ولغة بحث، بالإضافة إلى أنهما تركا ميراثا عظيما من المؤلفات الأدبية والعلمية في اللغة الأردية .

كان شبلي أديبا، شاعرا، مفكرا، مؤرخا، كاتب سيرة ناقد، وفي زمانه عاش أديب الأردية حالي، إلا أن شبلي يختلف عن حالي من عدة وجوه؛ فشبلي لم يستطع طوال حياته أن يحبس نفسه في دائرة نظريات سيد أحمد خان، فهو عالم وشاعر عاطفي

حماسي، وكانت عواطفه القلبية تموج بالحماسة بينما عقله كان مسكناً للفلسفة والمنطق. واجتماع الضدين هذا ابتلاه بالصراع النفسي، ولا شك أن مطالعته تنوعت فتنوعت بالتالي مؤلفاته وكتابات، وطبيعته الجياشة تظهر في أسلوبه، فعباراته فيها عظمة، كما أنه لم يعتمد إلى تنويع العبارات بل جاءت عبارته مناسبة تماماً للموضوع الذي يتناوله أضف إلى هذا أن إحساسه بالألفاظ عظيم ومن هنا جاء استخدامه لها في محله^(٩٨) وقد قال عنه جراهام بيلي في كتابه «تاريخ الأدب الأردني»: «يعده بعضهم أعظم كتاب النثر في الأردنية، أسلوبه أدبي فخم وهو جاف أحياناً إلا أنه أكثر إشراقاً من أسلوب «حالي» وأسلوبه مناسب لما طرق من موضوعات خاصة بالدين والتاريخ»^(٩٩)

كتب شبلي كتابات أدبية ثرية في موضوعات مختلفة منها التاريخية وموضوعات النقد الأدبي وتاريخ الأدب، وعلم الكلام، والمقال أو الرسالة بالإضافة إلى أدب الرحلة، وكان الاتجاه الإسلامي واضحاً تماماً في كتاباته هذه.

فيما يتعلق بالتاريخ «يعد شبلي أبا للتاريخ الحديث في اللغة الأردنية وقد بعثه على هذا رغبته في تنزيه الإسلام عما لحق به من أباطيل وأضاليل كما أنه شاء أن يجعل كتابة التاريخ في الأردنية مواكبة لكتابة تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا، وهو بصفته مؤرخ يفضل قلم الرسام على صندوق الألوان وهذا ما يجعله أقرب إلى رجل العلم منه إلى رجل الأدب»^(١٠٠).

وفي مجال الكتابات التاريخية وأيضاً في ميدان المناظرات الدينية ركز شبلي على القضية التي أقلقت المفكرين المسلمين وعلماء الإسلام آنذاك وهي: هل الإسلام يحول دون الرقي والمدنية؟ وأجاب على هذا بأن الإسلام يحمل بداخله جميع أسباب الرقي الحضاري مثل: المساواة والتسامح والشورى وتقسيم العمل ومراتب الإنسان المختلفة، فغاية الرقي العلمي تتمثل في الربط بين الدين والدنيا وترك الرهبانية، والحث على الحياة العملية والعلاقات الدولية، وكل هذا - كما أشار شبلي - واضح من خلال تعاليم الإسلام وضوح الشمس في وسط النهار، بالإضافة إلى قانون الميراث في الإسلام وحقوق المرأة في الإسلام كل هذا وغيره من أمور لم تستطع قوانين الدنيا الوضعية أن تغطيها.

وكان صوت شبلي مألوفاً لدى المسلمين أكثر من غيره لسببين: لأسلوبه الجذاب وطريقة كتابته المختصرة، ولأنه حافظ على الأصول الأساسية ولم يفصل فكره عن فكر السلف وظل مرتبطاً بالجدور.^(١١١)

ومن المعروف أن شبلي كان يعقد ندوة تضم أدباء الأردية العارفين بالفارسية والعربية والإنجليزية يتدارسون أمور الأدب ويستمعون إلى الشعر ويقرضونه، ومن هؤلاء مولوي عبدالحق مولوي سيد علي بلكرامي ومولوي ظفر علي خان^(١١٢) وغيرهم وربما أثمر هذا اللقاء ما كتبه شبلي في النقد الأبّي.^(١١٣)

وفيما يتعلق بكتابات شبلي في علم الكلام فقد استفاد كثيراً من رسائل المثقف المصري فريد وجدي بعنوان «الإسلام في عصر العلم»، وكان يستشير الشيخ شرواني في كل ما يكتب واعتمد شبلي في أمور الغيبات والروحانيات على ما كتبه الغزالي وابن تيمية وشاه ولي الله الدهلوي.^(١١٤)

بينما يرى عبدالماجد وهو من علماء الهند أن كتاب «الكلام» لشبلي هو في الحقيقة خلاصة باللغة الأردية لأفكار فريد وجدي، ولأن شبلي لا يعرف اللغات الأجنبية! فقد أخذ كل ثروته من أوروبا من خزانة أفكار فريد وجدي.^(١١٥)

أبدع شبلي في كتاباته التاريخية فرد على كتاب «هارون الرشيد» لبلمر بكتابه عن «المأمون» ليقدّم صورة كاملة عن حب الخلفاء المسلمين للعلم ورعايتهم له، وحين كتب البروفيسور شيلدون ايموز أستاذ القانون بجامعة لندن في كتابه بعنوان «القانون المدني الروماني» وقال إن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني رد عليه شبلي بكتابه «سيرة النعمان» ففند مزاعم شلدون ايموز، وحتى يقدم صورة واضحة وصحيحة لطريقة الحكومة الإسلامية اختار حياة عمر الفاروق، وتحدى كتاب التاريخ أن يعرضوا من خلال صفحات التاريخ شخصية جامعة كشخصية الفاروق وبعبارة أخرى أراد شبلي أن يعلن بملء فيه عن تفوق نظام الحكم الإسلامي على جميع الأنظمة في العالم^(١١٦)

وشبلي يعد رائد كتابة التاريخ الحديث في الأدب الأردّي وكتابه عن الفاروق يُعدُّ

دُرة في تاج النثر الأردني ، وكان شبلي يفخر بهذا الكتاب قائلاً : « الفاروق هو أحب كتيبي إلى قلبي » ويذكر عبداللطيف الأعظمي في كتابه عن مكانة شبلي في الأدب الأردني أن شهرة الفاروق قد فاقت أي كتاب آخر والدليل على ذلك القبول والترحيب الذي لقيته ترجمة الفاروق إلى اللغة الفارسية واللغة العربية واللغة الإنجليزية^(١٠٧) .
والسؤال أين الترجمة العربية للفاروق؟

لقد عثرت على نسخة من الترجمة الانجليزية ومكتوب عليها أن الطبعة الأولى صدرت ١٩٣٩م وترجمة الجزء الأول بقلم مولانا ظفر علي خان الشاعر والأديب المعروف وترجمة الجزء الثاني بقلم محمد سليم الحاصل على شهادة الماجستير، وفي العربية وجدت كتاب الأستاذ محمد حسين هيكل الفاروق عمر الذي صدر عن دار المعارف في جزأين دون ذكر تاريخ الطبع كما أن مقدمة المؤلف لم يثبت فيها أي تاريخ .
والسؤال الثاني هل ياترى اتصل محمد حسين هيكل بظفر علي خان وهو ممن كان يحضر ندوات شبلي و مترجم الجزء الأول من الفاروق؟

وهل التقى محمد حسين هيكل بظفر علي خان في المملكة العربية السعودية أثناء استضافة الملك عبدالعزيز لعلماء وضيوف العالم الإسلامي ، وخاصة أن هناك تشابها كبيرا بين ما كتبه ظفر علي خان شعرا وما كتبه محمد حسين هيكل نثرا في رحلته «في مهبط الوحي»^(١٠٨) وخاصة أن د . حسين فوزي النجار يشير إلى وجود علاقة فكرية بين ما كان يكتبه هيكل في مصر وبين ما أثر فيها بعد في المؤتمر الديني بجامعة عليكره سنة ١٩٣٨م .^(١٠٩)

والأهم من كل هذا هو رد الدكتور حسين فوزي النجار على من يقول بأن «سكرتين» الدكتور هيكل وهو د . سيد نوفل هو الذي أعد معظم بحوث هيكل وصحح المادة التي كان هيكل يرجع فيها إلى النصوص الإسلامية بقوله إن سيد نوفل لم يعمل «سكرتيراً» للدكتور هيكل إلا بعد توليه وزارة المعارف عام ١٩٣٨م .^(١١٠)

وهذا هو الشاهد لدينا لأن هيكل كتب «الصادق» عام ١٩٤٢م (بعد سبع سنوات من كتابه «محمد») ثم كتب الفاروق ١٩٤٤م ج ١ والثاني ١٩٤٥م .

وقد رجعت إلى الفاروق لشبلي والفاروق عمر لمحمد حسين هيكل فوجدت تشابها كبيرا جدا إن لم يكن تماثلا بين موضوعات الكتابين فهل الفاروق عمر لمحمد حسين هيكل هو الترجمة العربية عن الإنجليزية (ط أولى ١٩٣٥م) لكتاب شبلي الفاروق؟! هذا أمر يحتاج إلى دراسة خاصة واستناد إلى مصادر ومراجع ومقارنة نصوص الموضوعات التي وردت في الكتابين :

فهرس المحتويات

الفاروق ج ١

شيلي النعماني	محمد حسين هيكل
عمر والجاهلية	عمر في جاهليته
إسلام عمر	إسلام عمر
في صحبة النبي	عمر في صحبة النبي
في عهد أبي بكر	في عهد أبي بكر
فتوحات العراق	عمر يستفتح عهده
القادسية والفتح	أبوعبيدة والمثنى في العراق
فتوحات الشام	فتح دمشق وتطهير الأردن
فتح دمشق	القادسية
فتح بيت المقدس	فتح المدائن
حمص والنصارى	المسلمون في العراق
عزل خالد	جلاء هرقل عن سورية
الوباء	عمر في بيت المقدس
فتح القيسارية	مصير خالد بعد اخضاع الشام
عراق العجم	المجاعة والوباء
أذربيجان ، طبرستان .	
فارس	
فتح مصر	
فتح الإسكندرية	
الشهادة	
شهادة عمر	

فهرس المحتويات
الفاروق ج ٢

شبلې النعماني	محمد حسين هيكل
نظرة إجمالية على الفتوحات	التوسع في فتح فارس
نظام الحكومة	غزوة نهاوند
تقسيم البلاد (إلى ولايات ومراكز)	القضاء على سلطان الأكاسرة
الخراج	التفكير في حكم مصر
مصادر الدخل الأخرى	فتح مدينة مصر
المحاكم	فتح الاسكندرية
الإفتاء	حكومة عمر
بيت المال (الخزانة)	الحياة الاجتماعية في عهد عمر
أعمال البلديات وشؤون الرعية	اجتهاد عمر
تعمير المدن	مقتل عمر
الجيش وتنظيمه	خاتمة
الشؤون الدينية	
شؤون إدارية متفرقة	
حقوق أهل الذمة في الدول	
قضية العبيد	
العدل والإنصاف	
الإمامة والاجتهاد	
زواج عمر وأولاده	

وعلى كل حال لقد أثبت شبلې من خلال كتاباته في الفاروق والسيرة وغيرها أن التاريخ ليس مجرد أحداث حربية أو تناحر سياسي أو مغامرات بلاط بل التاريخ اسم آخر للحضارة الإنسانية ونسوق هنا نموذجين أحدهما من الفاروق والآخر من السيرة:

نماذج من كتاباته النثرية في الأردنية

النموذج الأول :

موقف عمر بن الخطاب يوم السقيفة^(١)

«الصورة التي تصورها كتب التاريخ والسيرة عن قضية المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم صورة غريبة جدا بل هي صورة تثير الدهشة والحيرة في النفوس، فما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتقل إلى الرفيق الأعلى حتى بدأ المسلمون يتنافسون ويتنازعون في أمر الخلافة كل يسعى لنفسه ولمصلحته .

وأغرب من ذلك أن المسلمين تركوا أمر دفن الرسول وشغلوا بأمر الخلافة والحكم كأن كل واحد يخاف أن يفلت زمام الحكم من يده ويتمكن الآخر منه، وكأنهم كانوا يرون أن قضية الحكومة والخلافة أهم وأخطر وأولى بالاهتمام والعناية من دفن الرسول والاهتمام بجسده المبارك، وكأن نفوسهم كانت تتشوف إلى الخلافة وتطمع في الإمارة، وأعرضت عن حق النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين كانوا يدعون حبهم للرسول وإخلاصهم له، بل كانوا يدعون الفداء والتضحية في سبيل الرسول هم الآن ينحرفون وراء السلطة والسلطان .

وتتضاعف الدهشة والحيرة حين نرى الصحابة : صغارهم وكبارهم يهتمون اهتماما بالغا بالخلافة حتى إن الذين كانوا يعتبرون النجوم اللامعة في سماء الإسلام، مثل أبي بكر وعمر بن الخطاب هم أيضا يتركون جسد النبي عليه ألف صلاة وسلام ويسرعون إلى أمر الخلافة والسيطرة عليها .

وصورة القصة تزداد غرابة وشناعة حين نرى الذين كانوا يمتنون إلى الرسول بصلة الرحم ولا تربطهم إلا أواصر القرابة والدم، هم في غمار الحزن والههم، وتشغلهم

قضية دفن الرسول صلى الله عليه وسلم عن كل شيء حتى لا يجدوا فرصة ليفكروا في أمر الخلافة .

هكذا تصور لنا كتب التاريخ والسيرة هذه القصة ولا شك أن القصة صحيحة وأن الروايات في هذا الصدد قوية الأسانيد وموثوقة الرواية وكلها توحى بهذه الفكرة .

ولكن حقيقة القضية غير ما يتصورها الناس وغير ما يفقهون من خلال هذه الروايات التي تروى هذه القصة . . .^(١١٢) وجاء في نهاية البحث .

. . لولا حكمة عمر وشدته لحدثت حروب أهلية بينهم كما حدثت بين معاوية وعلي وكأنهم كانوا يفتقدون حكمة عمر وسياسته الممزوجة باللين حيناً وبالشدّة حيناً آخر.^(١١٣)

النموذج الثاني :

أحسن السير^(١١٤)

دخلت اليهودية إلى أرض العرب فلم تصنع شيئاً سوى ما يعلم الناس ودخلت المسيحية أيضاً إلى الجزيرة ولم يكتب لها ولا لغيرها أن تجمع شمل العشائر التي كان يضرب بعضها رقاب بعض في سبيل التفاخر والتكاثر وحب السيطرة والانتصار حتى إذا جاء محمد برسائله السماوية أصلح في ربع قرن من الزمان ما عجزت عنه القرون والأزمان وفي تلك الحياة المائجة المضطربة تحولت الوثنية المظلمة إلى توحيد مشرق منير وبعد التناحر والإغارات تجمعت القلوب تحت راية واحدة من تلك البيئات التي كانت لا تنام العين لحظة واحدة إلا في لهيب مستمر مستعر تحترق فيه القبائل حيث لا يوجد ثمة قانون ولا مسؤولية محدودة، من تلك الآفاق خرج الأئمة الهداة الذين تنبض قلوبهم بإيمان أصيل وتغلي دماؤهم بكل غرض نبيل .

أفي الأمس القريب جاهلية جهلاء وترّد اجتماعي في الخصومة والجفاء وفي اليوم

التالي تظهر معجزة محمدية فإذا بالجهالة عرفان وإذا بالمخاوف أمن وإيمان وإذا بهم يظهرون على الدنيا أنوارا ساطعة ويحملون مشاعل الحق إلى الجهات الأربع ، من غير نبي الله حول تلك النفوس المستعصية والقلوب النافرة والأيدي الباطشة المغيرة فجعلها بين يوم وليلة تدين بالخشوع لقهار السموات والأرض وتلقى الجباه على الثرى مكبرة خاشعة لله حتى تحولت أيامهم ولياليهم إلى مواسم طاعات كأن أجسامهم في الأرض وأرواحهم في السماء .

لم يكن رقي المسلمين قاصرا على ما يصلح الروح والأخلاق فقد امتد أيضا إلى الرفعة الدنيوية في جميع الآفاق في السياسة والعلم وإدارة الأمور في الميادين وفي مواكب الفتوح تؤيدهم فيها الملائكة والروح لأن الرسالة المحمدية مجهر يكشف عن جميع القوى الكامنة في الإنسان ويرقى به حتى يسخر جميع الأكوان .

إن قافلة الإسلام لم تقف رحلها عند جزيرة العرب بل تخطت الحواجز والحدود لأن الإسلام لم ينزله الله لقوم ولا لجنس ولا لجيل بل لجميع الأجيال والعصور والإسلام دين جميع الأمم وقلب محمد صلى الله عليه وسلم محتضن جميع العالم لأنه رحمة للعالمين .

كانت رسالة كل رسول في دائرة قومه كما أرسل عيسى عليه السلام في بني إسرائيل أما محمد فقد جاء ليمحو الفوارق الجنسية والحدود الإقليمية والتعصبات الجغرافية ويركز بنیان شريعة كاملة تنظم أجيال البشرية وتوحيدها في توحيد رب البرية ، وإذا كان المرسلون صلوات الله عليهم شكلوا جماعات قوامها أفراد في الأمم التي بعثوا فيها فإن محمداً صلى الله عليه وسلم جاء لتشكيل الأمم كلها في قالب التوحيد لله والإخاء في عدالة شريعته وهكذا جمع محمد فضائل الأنبياء والمرسلين ففيه صبر نوح وقوته ووفاء الخليل ومودته ومعجزات الكليم وشده وثبات يوسف وحكمته وهمة سليمان وشجاعته وبساطة يحيى ووداعته وحلم عيسى ورحمته وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد .

٣ - شعر شبلي :

ارتبط شبلي النعماني بعليّكره رسمياً في سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م حين اختاره سيد أحمد خان للعمل أستاذاً للغة العربية والفارسية^(١١٥) وحينئذ وجد شبلي فرصة طيبة لقراءة كل ما يطبع في مصر وغيرها من البلاد العربية من صحف ومجلات وكتب حديثة، وكون مكتبة رائعة ضمت في معظمها كتب التاريخ بالإضافة إلى إفادته من مكتبة سيد أحمد خان الخاصة وإفادته من اتصاله بالمستشرق الإنجليزي توماس أرنلد^(١١٦) الذي علمه أصول البحث، وقد أتاحت شخصية شبلي له أن ينظر إلى هذه الأصول باطمئنان يأخذ منها ما يناسبه بل ويطوعها لما يريد.^(١١٧)

ورغم هذا فبراعة شبلي في الكتابة بالعربية ظهرت قبل استفادته من عمله في عليّكره، فقد كتب بالعربية رسالة بعنوان [إسكات المعتدي على إنصات المقتدي] عن رأيه في قراءة سورة الفاتحة خلف الإمام وتقع في ٢٤ صفحة طبعة سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م في كانيور ونشرت هذه الرسالة في مصر والشام وتركيا.^(١١٨)

وظل الاتجاه الإسلامي واضحاً في شعر شبلي العربي منذ البداية وقبل أن يكتب مثنوى صبح اميد أي صبح الأمل (عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م) كتب قصيدة ألقاها في عليّكره حين وصلها أول مرة مع أبيه نشرت في جريدة عليّكره بتاريخ ١٥ أكتوبر ١٨٨١م.^(١١٩)

يقول في بعض أبياتها:

المجد يصحب علماً حيثما يصل	والعلم عن قومنا لا زال يرتحل
نالوا من الذل ما لا ناله أحد	إذ لا يرى فيهم علم ولا عمل
ولا تزال ترى ينشت شملهم	في كل يوم وقد ضاقت بهم حيل
تراهم اليوم في كآب وفي قلق	فلا أفاد فتيلاً ما به اشتغلوا
لا ينتهون وقد ذاقوا وباهم	عن سوء صنّع فقد باءوا بما عملوا
وهل يجازيهم إلا بما اكتسبوا	من كان من عنده الأحكام تنفصل
فمن سعى اليوم في إصلاح حالهم	فالله جازيه يوماً يُقطع الأمل

إن كنت تسألني من هذه صفته قلت: الإمام الهمام السيد البطل إلى أن يقول:

أحسن إليهم ولو جازوك سيئة ولا تبال بما قالوا وما فعلوا^(١٢٠)

وهذه القصيدة رغم ما فيها إلا أنها تعتبر على مستوى عالٍ بمقارنتها بما كان عليه الأدب العربي في الهند في تلك الفترة.

وشبلي هنا يريد تقليد الشعراء العرب فهو يتحدث عن أحوال القوم ثم يمدح سيد أحمد خان من ناحيتين: حسبه ونسبه، ثم عمله في سبيل الأمة الإسلامية، وهو مدح لا غلوف فيه ولا ابتذال.

أما عن فن النثر في الفترة المبكرة فقد عثر على رسالة خطية بقلم شبلي ربما كتبها عام ١٨٨١م أو ١٨٨٢م تدل على أن تحرير شبلي بالعربية آنذاك كان واضحاً سلساً فصيحاً وأن اهتمامه بالعربية كان جيداً وأسلوبه كان خالياً من التكلف والصنعة التي سادت كتابة أهل الهند والمتأخرين من علماء الهند الذين كتبوا بالعربية.^(١٢١)

٣ - العاطفة الإسلامية في شعر شبلي:

لا يدعي شبلي النعماني أنه شاعر كما لم يذكره كتاب التذاكر ممن كتبوا عن تاريخ الشعر الأردني وحتى تلميذه سيد سليمان الندوي لم يتحدث أيضاً عن مكانته الشعرية والسبب كما نعرف أن أعماله الأخرى غطت على مكانته على أنه شاعر. وشبلي نفسه يعترف بذلك مقررًا بأن التأليف والتصنيف ومشاغله الأخرى حالت بينه وبين الاهتمام بالشعر.^(١٢٢)

ومن ناحية أخرى يرى بعض النقاد^(١٢٣) أن معظم ما كتبه شبلي من شعر هو شعر مناسبات بعينها، ويطلق عليه الشعر السياسي لأنه يتعامل مع الأحداث السياسية، ولكن يبدو أن هذا المعيار لنقد شعر شبلي يصدر عن رؤية للجو العام الذي سيطر على أدباء الأردية آنذاك من ناحية، وعدم التمكن من الوقوف على الهدف السامي من وراء أشعار شبلي فهو وإن كان يذكر حادثة بعينها فهو يضمن كلامه الموعظة والحكمة

ويسترجع التاريخ ويستقرىء المستقبل ، فقد كان شعراء الأردية إما في لهو ومجون وإما في عزلة بعيدين عن المجتمع ليكون ويندبون حظهم في كل مناسبة .

وجاء شبلي بما يملك من ذوق سليم وإيمان عظيم ليوجه الناس إلى حيث يجب أن يتجهوا إلى التضامن الإسلامي ، وإلى إحياء الروح الإسلامية والأمل في المستقبل عن طريق التخطيط الصحيح لتطوير حياة المسلمين في كل أنحاء العالم .

ونتيجة لظروف الاحتلال فقد كانت أشعار شبلي تبدو وكأنها مدح إلا أنها قدح فهي أقرب إلى السخرية والتهمك منها إلى المدح الحقيقي ، ولا يعرف القاريء ما يقصده شبلي إلا إذا انتهى من قراءة آخر بيت في القطعة الشعرية حين يقف فجأة على النتيجة التي يريد الشاعر أن يوصله إليها: ^(١٢٤)

لقد بدأ الاتجاه الإسلامي واضحاً في أشعار شبلي الفارسية والأردية على السواء ، والفن الشعري عن شبلي فن ملتزم فالأديب عنده قضية وأمامه هدفاً ومن ديوان شعره الأردني نختار هذه الأبيات التي يوضح فيها شبلي أن انحطاط المسلمين لا يرجع إلى الإسلام كما يقول المعارضون بل يرجع إلى ترك المسلمين لتعاليم الإسلام: ^(١٢٥)

يقول الجميع ؛ لقد صار واضحاً للعيان أنه في زماننا .

لم تعد للإسلام عزة في أي مكان

وسوف تعرفون أين ستجدون الأمة الدليلة

فلم يعد الأمر قاصراً على العراق أو الشام أو الجزيرة

وهكذا لودقتم النظر

فلن تجدوا سوى الدين والعقيدة

صفة مشتركة في أمة الإسلام

وطبقاً لهذه الأصول . .

فالنتيجة واضحة وضوح الشمس

فضعف الإسلام راجع إلى أهل الإسلام

النظرة العميقة في هذه القضايا مفيدة

فهذه الحقائق لا تظهر واضحة للعيان على السطح . .

لابد من التفكير . . من التعمق
من تقصي الحقيقة
فالدار دار خاصة
وهي ليست بطريق عام
قضايا السفسطة هي أول الأخطاء
والجدل الذي تسمونه إسلاماً
ليس من الإسلام في شيء فكروا!
التوحيد هو المقدم في أمور العقيدة
لو طلبت وصفه فلن تجدوا له
اسماً في أي مكان . .
شد الرحال لزيارة الأضرحة
والعتبات . .
ما هذا إلا عبادة اللات ومنات
الآن انظروا إلى العمل .
ماذا ستشاهدون؟ ليس هناك التزام بالأحكام
في أي بلد . . في أي مكان
المسلمون بنص القرآن إخوة
متحابون متراصون كالبنين
وليس في هذه الأخوة
محابة للأعمام والأخوال
آه مما نحن فيه الآن
الأخ صار عدواً لأخيه
ولا يوجد بيت يخلو من هذا
السلوك المغضب للرحمن .
لم يعد هناك وجود للصدق،

أو التدين أو حفظ العهود
في أي مكان . .
القلوب متفرقة . . الألسنة لا تنطق
إلا بالشتائم . . الأمان الأمان
يقرأون آية ﴿فاعتبروا . . ﴾ كل يوم
لكن هؤلاء العلماء لا يدرون شيئاً
عن دوران الأيام .
الغرض! شاع كل ما هو خلاف الدين
فافهم تماماً . هذا ليس بخداع
وكلامي ليس فيه إبهام
فطبقاً للحقائق السابقة
سبب تردي الأمة
سبب واضح فاكشف الغمة
فترك الالتزام بالإسلام
ليس من الإسلام في شيء
يا هُمَام .

وقد سبق وذكرنا معارضة شبلي لسيد أحمد خان فيما يتعلق بالمناهج الدينية،
والسبب في هذا خضوع سيد أحمد خان والقائمين على جامعة عَلِيَّكَرِه للانجليز فحرّموا
على الجامعة أن تدرس علوم الدين الصحيحة، وحتى حرّموا عليها أن تفكر بالمشاركة
في إدارة شؤون البلاد ورعاية مصالح المسلمين^(١٣) يقول شبلي:

«قلبوا الصفحات في تاريخ الأمم
اقرأوا . .

ستدركون الأمور التي قامت عليها
أسس نهضتها، فافهموا . .
فههي إما العاطفة الدينية

التي أحالت في لحظة ذراتها الباردة
إلى شرر

وإما العاطفة الوطنية

التي أيقظت في لحظة القوى
العاملة بداخلها

أما نحن

فقد حُرمتنا من العاطفتين معاً

فلم يعد لنا قدر في ميدان السياسة

ولم يعد لنا موس شرعنا أي احترام
يالتعاسة .

لم يسمح لنا منذ زمان

أن نقرب مباحث السياسة

لأن هذا كان شعار الأوفياء

من خواص الساسة

والآن لم يبق لنا حتى العاطفة

الدينية

التي قضوا عليها

لأن ذكرها

أصبح من العار .

ياللعار»^(١٣٧)

وشبلي هنا يمثل بداية المدرسة التي تخرج منها الشاعر أكبر إله آبادي والعلامة محمد إقبال، فبينما كان حالي وهو معاصر شبلي وصديقه يذرف الدموع على تدهور أحوال المسلمين كان شبلي بالإضافة إلى بيانه عن حرقة بسبب هذا التدهور إلا أنه يرجع أسبابه إلى انحراف المسلمين عن أصول الإسلام وقيمه بينما حالي يرجع سبب التدهور إلى أمور مادية بحتة، ومن هنا قال الشيخ محمد إكرام،^(١٣٨) إن ورثة شبلي الحقيقيين هما أبو الكلام آزاد ومحمد إقبال.

ومن خصائص شعر شبلي التاريخي البارزة الواقعية، مع التأثير القوي عن طريق
البراعة في رسم الصورة، ونسوق هنا هذا النموذج الذي كتبه شبلي يصور أحداث
غزوة أحد ويحكي قصة سيدة من بني دينار فقدت أخاها ووالدها وزوجها فقد
استشهدوا جميعاً. (١٢٩)

«وصلت إلى ساحة الجهاد

فقال لها الناس

نحن في حيرة وفي خجل ماذا نقول لك :

أخوك راح شهيداً في ساحة الوغى

والدك قتل شهيدا بسيف الظلم

وما طغى

وأكثر من هذا وذاك

زوجك يرحمه الله

في جنة الخلد انتهى

وهكذا خلا بيتك

من الرجال

وانهارت للألم والحزن

جبال .

فسمعت هذه العفيفة الشريفة

ما قالوا . . . وأجابت :

يا إخوتي : خبروني بالله

كيف حال سيد الأمم؟

فبشرها الجميع . . الأمين بخير

فعين الله لا تنام

في الرأس والصدر.

والجنب والبطن جراح

فتقدمت لا يصدر عنها
صراخ ولا صياح
تقدمت إلى أكرم الخلق
فشاهدت في طلعتة الصباح
قالت :

الحمد لله ، خير البرية بخير
إذن لا حزن لا ألم لا أسى
بل سرور وأفراح
أنا أيضا وأبي زوجي وأخي فداك
فأنت إمام ديننا وما نحن منك
بشيء . . أنت في خير الأمم
أنت لنا فوز وفلاح .

وينظم شبلي خواطره عن أصحاب التعليم الجديد ويشير إلى مهمة ندوة العلماء
الصعبة (حوالي سنة ١٩٠٢م) يقول بالفارسية ما معناه : (١٣٠)

صرتم كالضيوف على موائد أوروبا
ليس عدلا أن تصبحوا من جملة أهل أوروبا
ليس عدلا أن تنكروا حكمة القرآن والسنة
ليس عدلا أن تخضعوا لفلسفة أوروبا
رُحتم تعددون القياسرة واحدا بعد الآخر
ليس عدلا إذ تغافلتم ونسيتم عمر وحيدرة وعثمان
ثم يوجه حديثه إلى ندوة العلماء :
ليس سهلا المزج بين الدين والدنيا
ليس سهلا فالأمر كسفينة في دوامة
أما الفلسفة والشرع فمثلها
كمثل الخريف

يأتي عقب رياح الربيع
لو أردت حلاً لهذه المعضلة
فاطلبه عند أهل الندوة
ففي الندوة تجد حل كل مشكلة

واحتلت هموم الأمة الإسلامية نصيباً وافراً في قلب شبلي، الذي كان يشعر بالألم الشديد لما آلت إليه أحوال الأمة الإسلامية آنذاك، ولما صاروا إليه من تأخر وذلك بعد أن ملكوا العالم من قبل وفي يوم العيد (عام ١٨٨٣م) ألقى قصيدة وبكى بدلاً من الدموع دماً، بكى وأبكى من حوله حين ألقى قصيدته بالفارسية وجعلها «عيدية» الحاضرين^(١٣) يقول فيها:

«ليس عدلاً ألا تبقى سوى أنفاس قليلة
لهذا الطرب وهذا الصخب
ماذا يفعل العيد بالأم تذيب صبر الحديد
فجماعة المسلمين صارت هدفاً لسهم البلاء
خُذعوا بما يعرض عليهم من صور السكر
والعريضة التي تجاوزت الأفلاك
أيام العيد جاءت
لا فرق في الواقع بين الأيام التي مرت علينا
منذ محرم الحرام وحتى يوم العيد
العيد السعيد!!
آه من فتن يحكيها لنا
المخادعون الغشاشون
لنا نحن الذين ملكنا السيف والقلم
لنا نحن الأمة التي ملكت
أسس السمو والرفعة
أمة هي الآن في حالة

أراني عاجزا عن وصفها
فانظروا بأنفسكم
إلى أي نهاية قادتهم تلك البداية
لا تتطلب شرح هذه الواقعة
من شبلي فقلبه مكلوم
والليل قصير والحكاية يلزمها
وقت طويل طويل .

تأثر شبلي بالأحداث التي كانت تدور في العالم الإسلامي فبعد هجوم إيطاليا على
طرابلس الغرب أعلنت الدول الأوروبية مساعدتها للمتمردين في البلقان (١٩١٣م)
ولم يسكت شبلي رغم مراقبة الانجليز له وسوء ظنهم به^(٣٢) فكتب قصيدة طويلة
بالأردية بعنوان «مدينة الإسلام المضطربة» وكانت عن مأساة البلقان وقد تأثر
المسلمون في الهند بهذه القصيدة ولا يزالون يحفظون أبياتها^(٣٣) وحتى يومنا هذا فالمأساة
تتكرر والتاريخ يُعيد نفسه ولا حول ولا قوة إلا بالله .

«انتهت حكومة المسلمين فيلى متى
يبقى اسمهم ورسمهم؟!
وإلى متى ينبعث الدخان من سراج الحفل القليل؟!
ضاعت مراكش وانتهت فارس
فماذا ترى الآن
وإلى متى يظل قلب الرجل المريض (تركيا)
ينبض بالحياة .
وطوفان البلاء القادم من البلقان
إلى متى توقفه حرارة آهات المظلومين
المشردين في الوديان .
الجميع يقف متفرجا على مشهد
رفرفة الطائر الذبيح

فإلى متى يُعرض هذا المشهد
مشهد الشهيد الذي لم تفارقه روحه بعد
... يالجنون المتفرج
يااللهذيان
أنين المظلوم ينساب منطلقا
من أجل السامعين
فإلى متى يُسمعهم اليتيم هذه
الأنات ..
هل من أحد يسأل :
ياأساتذة الحضارة الإنسانية
إلى متى هذه المظالم والاعتداءات
إلى متى هذه المصائب منكم والآفات
إذا لم تكونوا قد تفرجتم على معرض الصور المدرج بالدماء
فلا بأس
فسنريكم إلى متى ستظل الجراح الدامية تملأ ما بين
الأرض والسماء
فلا بأس
إلى متى الانتقام للفتوح الأيوبية !!
إلى متى تعرضون مناظر الحرب الصليبية؟
زوال الدولة العثمانية زوال الشرع
نهاية الأمة الإسلامية
فإلى متى أيها الأحبة التفكير في الأهل
والولد والدار، وباختصار
إلى متى التفكير في الدنيا الدنية
بالله .. هل فهتمم .. لماذا كل هذه
الاستعدادات؟

إن لم تفهموا الآن فسوف تفهمون
حين تدرون : إلى متى يمضي هذا
التقهقر والسقوط .

تشتت شمل المسلمين
مزقت صفحات الإسلام
عمّ اليأس والقنوط
فإلى متى تهب ريح الكفر العاتية؟
حين تتوجه عين الصياد القاتل
ناحية الحرم

فافهموا . . . إلى متى يظل
أيكُ حمام الحرم في مأمن
ومن خرج مهاجرا ياشبلي
إلى أين يمضي
فإلى متى ياترى يظل الأمن والأمان
في الشام وفي نجد وفي القيروان؟!

كانت القصيدة في الواقع قصيدة إلهامية ألقاها شبلي في اجتماع عام بمدينة لكهنو
لجمع التبرعات من أجل تركيا، وبكى وأبكى الناس من حوله وتحولت مدينة لكهنو
إلى مجلس عزاء ضخيم .

وحاول مسلمو الهند آنذاك اقناع بريطانيا مراعاة شعور المسلمين والتراجع عن
التدخل في البلقان، لكن هيهات لقد أصابت بريطانيا رعاياها المسلمين في الهند
باليأس والإحباط .

وانطلق شبلي ببوح بمكنون قلبه^(١٣٤)
«يقولون إن كانت فينا مشاعر المسلمين
فليبق أثرها داخل حدود الهند
وبين المصلين

لكن - ياسادة - ماذا عسانا نفعل
فهذا الشعور... شعور الأمة كلها
منذ جاء المصطفى هاديا للعالمين
شعور يصل حتى العراق وفارس
ونجد والحجاز والقيروان...
حيث جماعة المسلمين
منافق من يقول إنني لست
منحازاً إلى تركيا...
وهذا القول ليس قاصراً عليّ
بل هو قول كل فرد في أمة محمد
الرسول الأمين.

وأرسل المسلمون في الهند وفداً طيباً برئاسة الدكتور مختار أحمد أنصاري إلى جبهة
القتال التركية (نوفمبر ١٩١٢م) وضم الوفد أيضاً بعض طلبة عليّكره مثل عبدالعزيز
أنصاري وعبدالرحمن صديقي وغيرهما ممن ذهبوا لعلاج جرحى المسلمين في المعارك
وحين رجع الوفد بعد أداء واجبه، استقبله شبلي بقصيدة بالأردية قال فيها:

الشكر نرفعه لله العليّ القدير
فقد أعاد لنا بسلام أعضاء وفد الأنصاري
سافرتم آلاف الأميال... ومضيتم
في البراري والوديان
خدمتم جرحى المسلمين إخوانكم في الإيمان
هذا هو التعاطف الإسلامي
هذا هو طبع المواساة
بين المسلمين
هذا تطبيق لتعاليم الرحمن»
ثم يخاطب رئيس الوفد الدكتور أنصاري:

«أسألك حقاً أنصاري أنت
أم مهاجر؟
فقد تركت يا أنصاري أهل الوطن
وهاجرت إلى ديار الأصحاب
لا تحش السيوف ولا الخناجر
هل يحلم أحد بما نلت من سعادة
عالجتم جراح المسلمين
وجاهدتم كل عدو فاجر
فاشرحوا لإخوانكم الموالين للإنجليز
اشرحوا ما رأيتموه . .
من أساليب سفك الدماء لدى
كل كافر . .
وإن أراد أحد أن تفهموه
جنون الحماسة الإسلامية
فافهموه . .
فقد رأيتم المجنون يهيم
بعشق ليلاه
يصيح ينادي
وإسلاماه .
لو كان لنا بقية من أمل
فهذا لأنكم أظهرتم رموز
القوة الكامنة في صدور
المسلمين . . . في العمل
فاقبل يا إلهي دعاء هذا العجوز
فهاهي يدي ترتفع بدعاء
أغلى من كل كنوز

يد شبلي النعماني ترتفع إليك
في السماء .
فاستجب يا إلهي لهذا النداء . (١٣٥)

الإيمان بالقضاء والقدر والصبر على قضاء الله :

في ١٧ مايو سنة ١٩٠٧م أصاب شبلي نفسه ببندقية التي انطلقت خطأ فأصابته
قدمه واضطر الأطباء إلى بترها ومَرَّ شبلي بظروف نفسية صعبة وواساه الشعراء من
حوله بالأردية والعربية ، قال له سيد سليمان الندوي : (١٣٦)

عاد الربيع لروض بعدما ذهباً	وعمر الله ربي بعد ما خرباً
ما برجلك انفصلت إلا لهمتها	عن أرض بعدت تستصغر الرُّبَا
رجلٌ بها جُزت كم من سَبَسٍ وقرى	في الفضل مُرتغياً للعلم مُطلباً
بها وطئت بلاد الترك مغترباً	واجتزت مصر وبيت القدس والعرباً

ويحكى أن أحد أصدقاء شبلي أرسل له دعوة في بيتين من الشعر فرد عليه شبلي
بأربعة أبيات قال :

أشعر اليوم بالأسى بالحزن لأنني لن ألبى دعوتك
لكن لدي من الأسباب ما أجبرني على ذلك
أنا لا أرفض كرمك ولطفك فأنا لك ممتن ومشكور
لكني لم أعد ذلك الرجل الذي يمشي
هنا وهناك يـدور

لأنني وبفضل من الله أصبحت مثل تيمور
(أي تيمور لنك الأعرج)

هذا كلام أروح به عن نفسي
وإلا فشبلي حي كالميت ولعله مرحوم وذنبه مغفور

ونحاطب أسرى المسلمين الذين وقفوا في وجه السلطات البريطانية التي قامت بهدم
جزء من المسجد (دورة المياه) لشق طريق بمدينة كانبور ويعتذر لهم شبلي فقد كان

يتمنى أن يشاركهم وقفته وأن يسجن معهم لكنه لا يصلح لوضع السلاسل في
قدميه لأنه برجل واحدة:
شقّ عليّ ألا أمضي معكم أجمعين
فمن لم ينطلق معكم
فمن يكون له ذكر في العالمين
صدمتي من جرّاء بتر قدمي
لم يخالجي الشعور بها إلا اليوم فقط
فيالأسف فقد اكتشفت أنني
غير صالح لأن توضع السلاسل
في رجلي . . .
وهكذا ضاع حظي في ثواب
يوم الدين .

شبلي وشعر المدح :

يعيب البعض على شبلي نظمه أشعار المدح وخاصة في المناسبات إلا أن هدف
شبلي لم يكن مدح الشخص ذاته بقدر ما كان يمدح فيه خلقه أو صفة معينة كالكرم
والمساهمة في عمل الخير ليحث بقية المسلمين على تقليد هذا الشخص الكريم حسن
الخلق ، وحتى تتضح هذه الفكرة نسوق مثلاً واحداً فقد فتح باب التبرع لبناء دار
المصنفين في لكةنو، ومن بمباي وصله تبرع كريم من سيدة فاضلة كانت تربطه
بأسرتها علاقة صداقة حين سافر إلى إستانبول . فرد عليها شبلي شاكراً إياها بأبيات
بالفارسية قال فيها: (١٣٧)

«كنت مشغولاً بأمور المدرسة، وفجأة رأيت
أكوام الرسائل تحط فوقِي مُكَدَّسة
نظرت، فشاهدت رسالة ليس عليها اسم
ولا عنوان، لكنها وصلت من عند سيدة
الفضل بها يزدان، قفزت من مكاني . .

أمسكت الرسالة بشوق . . . قلبتها بين يدي
وقبلتها . . . كعطشان وصل إلى ماء زمزم . .

شعر السخرية والتهكم الهادف :

استخدم شبلي السخرية والتهكم بظرف ولباقة وسيلة لإصلاح الأمة ، وحدث في زمان حرب البلقان أن كتب السير أغا خان مقالة ينصح فيها تركيا قائلاً بأن الأفضل للترك أن يتركوا أراضيهـم في أوروبا ويتجهوا إلى آسيا حتى لا يتعرضوا لهجوم الدول الأوروبية ، وغضب المسلمون في الهند وأصيبوا بصدمة في شخص أغا خان ونظم شبلي أشعاراً كلها تهكم وسخرية عبرت عن مشاعره ومشاعر جميع المسلمين تجاه اقتراح السير أغا خان .^(١٣٨)

«قال السيد أغا خان للترك ناصحاً
وهو نشوان . . .

لماذا أنتم أسرى للألم
داخل أوروبا وما الفائدة؟

إذا انطلقتم تجاه آسيا
فستظلون إلى الأبد دولة سائدة
تضعون أقدامكم حيث تريدون
وفي راحة تنامون
فلم القلق إذن . . .

لن يكون هناك غم ولا «يجزنون»
سوف تقع أعينكم دون فائدة
على الآلات الحديثة والمخترعات
بينما أنتم في غنى عنها

وفي غنى عن كل المهارات
ما عليكم إلا أن تضعوا أقدامكم
حتى وادي التتار وقصور المهرجات

لن تكونوا في حاجة إلى هاتف أو برق
حتى وسائل نقل أو قطارات
فسوف يأتيكم حمام الحرم ينقل لكم رسائلكم
ولا فائدة لكم من وسائل المواصلات
فهل يضيركم شيئاً لو استخدمتم
الخيول السريعة تقطع بكم المسافات
وفي الصحراء سوف تسوقون سفينة اليابسة
ولن تحتاجوا البخار ولا أمواج الغم
فكل هذا همٌّ في هم
وعليكم أن توافقوا على أن أوريا
هي الفردوس، فقد نظم الشيرازي وقال:
«أبي باع روضة الرضوان بحبتي قمح
لن أكون نعم الخلف إن لم أبعها
بحبتي شعير» .

وفي سنة ١٩١٢م كتب شبلي أشعاراً كثيرة عن المسؤولين في عليكره الذين كانوا
يوالون الانجليز ضد مشاعر المسلمين، وهذا نموذج من شعره: (١٣٩)
«هل هناك من يفهم جهلاء القوم هؤلاء
فيخبرهم أن لشؤون العالم نظاماً
عليه يمضي تقسيم العمل ويكون الولاء
ولكل شخص دوره ولكل شخص عمله
ولكل صوته ولكل نداء
ولكل واجبات في نظام العالم
ولكل فرائض يؤديها سواء بسواء
وهذه قضية مسلمة بين خواص الناس وعامتهم . .
بين من في الحضر ومن في البداء
فواجب المقتدي امتثال الأمر

والأمر والنهي والحكم في يد
إمام أمة السعداء .

فواجب الأمة كان تقديم المال ليس إلّا
بغير نداء

وما بعد ذلك من واجب أهل
عليكـه . . أهلها الوجهاء

هذا ديوان خاص هذا ليس مجلس الشعب
فاحذر . . . هذا مقام الأدب :

سمعاً وطاعة هي من القول ما يجب
والمناصب الخاصة قاصرة على الخواص
فمن أنتم يامن تريدون الإفادة
دون حق من هذه السعادة؟!

خاتمة آخر أشعاره :

وظلت الحكومة الانجليزية تتابع جهود شبلي حتى آخر أيامه وبدأت أشعاره تأخذ
منعطفاً جديداً، فألقى قصيدة جعلت الحكومة البريطانية تصدر حكمها باعتقاله،
إلا أنه كان على فراش الموت، وكان الضابط المسؤول عنه مسلماً يعرف قدره فظل
يماطل في تنفيذ قرار الاعتقال معتذراً بمرض شبلي حتى وافته المنية بعد أيام قلائل،
يقول في هذه القصيدة^(١٤) التي ضمنها في آخرها بيت الشاعر غالب :

(ياإلهي من ذا الذي لا يموت بمثل هذه البسطة

يحارب، وليس في يده سيف)

«قال لي أحد الألمان على سبيل الغرور: النصر ليس سهلاً لكنه ليس أيضاً بالأمر

الصعب

وجيش بريطانيا أقل أيضاً من ألف ألف

والأدهى من هذا أنه ليس مستعداً، أما فرنسا فهي الخليفة على مدى الدهر

وعازف القانون ليس من شيمته الحرب

فقلت : أخطأت فهذا غرور وإن لم يك بك جنون
فإنك لست عاقلاً أيضاً بل مفتون
فنحن أهل الهند نفوق الألمان عدداً
عشرات المرات
ليس عندك من التمييز حتى الفتات
ظل الألماني يستمع إلى كلامي بإمعان
ثم قال كلاماً لا يليق به أن يفصح عنه في أي مكان
قال :

«ياإلهي مَنْ ذا الذي يموت بهذه البساطة
يُحارب وليس في يده سيف»

الهوامش والتعليقات

- ١ - عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام في الهند ص ٥٦١ وما بعدها ط المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ٢ - عبد المنعم النمر: أبوالكلام آزاد ص ٤٨ وما بعدها ط الهيئة العامة للكتاب، مصر ١٩٩٣م.
- ٣ - غلام رسول مهر: عام ١٨٥٧م نقلا عن خليل الرحمن: محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص ٢٥ ط دار حراء، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٤ - نقلا عن عبد المنعم النمر تاريخ الإسلام في الهند ص ٥١١.
- ٥ - المصدر السابق ص ٥٧٢.
- ٦ - أبوالحسن علي الندوي: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٧٢ وما بعدها ط الدار الكويتية ١٩٦٨م.
- ٧ - المصدر السابق ص ٧٢ وما بعدها.
- ٨ - نفسه.
- ٩ - تهذيب الأخلاق ج ٢ ص ١ نقلا عن المصدر السابق ص ٧٩.
- ١٠ - محمد إقبال وموقفه من الحضارة الغربية ص ٣٨.
- ١١ - للمزيد من المعلومات عن فكره وعقيدته انظر كتاب الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٤١.
- ١٢ - انظر حالي: حيات جاويد ص ٢٨٢ وأبي الحسن الندوي: المسلمون في الهند الصفحات المتعلقة والصراع بين الفكرة الإسلامية ص ٨٢.
- ١٣ - Aligarh Gazette ١٩ فبراير ١٨٩٨م نقلا عن الصراع بين الفكرة ص ٨٤.
- ١٤ - الصراع بين الفكرة ص ٨٥.
- ١٥ - سمير عبد الحميد إبراهيم: اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان ص ١٢ وما بعدها، دار المعارف ١٩٨٢م.
- ١٦ - الشيخ محمد إكرام: موج كوثر ص ٧٤ وما بعدها ط لاهور ١٩٦٦م.
- ١٧ - سمير عبد الحميد إبراهيم: الألفاظ العربية في اللغة الأردية. دراسة دلالية معجمية ص ١٢ ط المكتبة العلمية بلاهور ١٩٩١م.

- ١٨ - شوكت سيزاوري : داستان زبان اردو ص ٩٤ ط كراتشي ١٩٦٠م .
- ١٩ - محمود حجازي : علم اللغة العربية ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ط الكويت ١٩٧٣م .
- ٢٠ - سمير عبدالحميد إبراهيم : الأدب الأردني الإسلامي ، الفصل الثاني ط مطابع الفرزدق بالرياض ١٩٩٢م .
- ٢١ - التخلص في الشعر الفارسي والأردني هو اختيار الشاعر لاسم أدبي يذكره عادة في البيت الأخير من قصائده .
- ٢٢ - سيد سليمان الندوي . حياة شبلي ص ٦٨/٦٩ ، دار المصنفين أعظم كره ط ١٩٧٠م .
- ٢٣ - يفخر شبلي بموطنه ويقول بالفارسية :
فضل بندول كرتو نشناسی آدمي نیستی تو ، نسناسی
إن كنت تجهل فضل «بندول» فلست بآدمي
كبقيّة الناس ، إنك لا شك قرّد نسناس
- ٢٤ - شيخ محمد إكرام : يادكار شبلي ص ٢٩ وما بعدها . إدارة ثقافت إسلامي لاهور ١٩٧١م .
- ٢٥ - وقد رثاه شبلي بأشعار أشاد فيها بإحياء أستاذه للغة العربية في الهند قائلاً : «إنه ذكرى النغمات الحجازية» .
- ٢٦ - يحكي شبلي قصة وقعت له فيقول : «كنت إذا ما أعطيت الجمال شيئاً ليأكله وجدته لا يأكله وحده أبداً وينادي : هلموا فيجتمع البدو حوله ويقسمون الطعام معاً ، ومن باب الاختبار أعطيته مرة قطعة صغيرة من اللحم وكانت لا تقبل القسمة أبداً ، إلا أن الجمال نادى على رفاقه وبدأ في تقسيم هذه القطعة الصغيرة إلى قطع أصغر ، فسألته : ما نتيجة هذا الأمر؟ إنك لم تستمتع بالطعام . كما أن زملاءك أيضاً لم يصيبوا ما يمتنعهم ، فأجاب الجمال إجابة كشفت عن شرف العربي ، قال : يا شبلي هذا عارٌ علينا أن نأكل وحدنا» .
- ٢٧ - يقول شبلي في أثناء الحج حين اضطرت إلى التحدث بالعربية كنت أراعي استعمالات القواعد والنحو وأتمسك أثناء الحديث بالإعراب وقواعده ولاحظ هذا رفيقي العربي فقال لي ذات يوم :
«شبلي أنت نحوي؟!» .
- وظننت - لعدم معرفتي قصده - أن هذا تعبير عن قدرتي العلمية ولكنني عرفت بعد ذلك أن هذا كان تعريضا لا تحسينا» .
- نقلا عن : حيات شبلي ص ٩٤ .
- ٢٨ - حامد حسن قادري : داستان تاريخ اردو ص ٧٢٣ اردو مركز لاهور ط ٣ سنة ١٩٦٩م .
- ٢٩ - ص ٦٨ .

- ٣٠ - مجلة معارف ص ١٨ عدد أغسطس ١٩١٦ م.
- ٣١ - حیات شبلي ص ٩٢.
- ٣٢ - یادکار شبلي ص ٩٦.
- ٣٣ - حیات شبلي ص ٢٧١.
- ٣٤ - يقصد سيد القوم خادمهم.
- ٣٥ - أبوالحسن علي الندوي: حیات عبدالحی ص ٩٧/٨٨ ط بورنه الهند ١٩٨٢ م.
- ٣٦ - المصدر السابق ص ٩٨.
- ٣٧ - مقدمة كتاب یادکار شبلي ص ١٦.
- ٣٨ - مجلة فكر ونظر بالأردنية مقال بعنوان: «اصلاح تعليم كي تحريك مين شبلي كاكردار» كتب المقال محمد نذير كاكاخيل عدد رمضان ١٣٩٠ نوفمبر ١٩٧٠ م إسلام آباد.
- ٣٩ - مكاتیب شبلي حصه أول ص ٥١/٥٠.
- ٤٠ - للمزيد من المعلومات انظر شيخ محمد إكرام موج كوثر ط ٢ ص ٢٥٥/٢٥٤ فیروز سنتر لاهور ١٩٥٨ م.
- ٤١ - نفسه ص ٢٧٧.
- ٤٢ - انظر الصفحات السابقة في البحث المتعلقة بآرائه في التعليم.
- ٤٣ - مقالات شبلي مجلد ٧ ص ٤٨.
- ٤٤ - انظر ما ذكرناه قبلا من آرائه أثناء رحلته إلى تركيا والشام ومصر.
- ٤٥ - مقالات شبلي جلد أول ص ١٤٠.
- ٤٦ - خطاب شبلي في جلسة ندوة العلماء السنوية عام ١٩١٢ م.
- ٤٧ - مقالات شبلي مجلد ٦ ص ١١٣.
- ٤٨ - انظر: یادکار شبلي ص ٢٨٢ وما بعدها. والمسلمون في الهند ص ١٢٠ وما بعدها وداستان تاریخ اردو ص ٧٢٦ وما بعدها والصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ص ٧٤ وما بعدها وحياة عبدالحی ص ٤٣ وما بعدها.
- ٤٩ - الصراع بين الفكرة الإسلامية ص ٧٤.
- ٥٠ - المسلمون في الهند ص ١٢٤/١٢٥.
- ٥١ - حیات شبلي ص ٦٠.
- ٥٢ - مقالات شبلي جلد ٦ ص ٦٧.
- ٥٣ - للمزيد من المعلومات عن اختيار مناهج الدراسة انظر مجلة فكر ونظر مجلد ٨ عدد ٥ ص ٢٥٧/٢٥٦.

- ٥٤ - مقالات شبلي جلد أول ص ١٤٣ .
- ٥٥ - فكر ونظر، مجلد ٨ عدد ص ٣٥٨ .
- ٥٦ - يقول أبو الحسن الندوي في كتابه حياة عبدالحلي : «اختلف شبلي مع علماء الندوة وكان جزءاً لا يتجزأ من الندوة، كان الملاح الوحيد لتلك السفينة التي جمعت بين القديم والجديد وراح يقودها إلى هدفها لولا بعض المشاكل والخلافات التي تمثلت في اختلاف الآراء فقد رأى علماء الندوة التمسك والتركيز على التعليم الديني ص ١٦٦ .
- ٥٧ - الصراع بين الفكرة الإسلامية . . ص ٧٦ .
- ٥٨ - نفسه ص ٧٧ .
- ٥٩ - حياة عبدالحلي ص ١٧٢/١٧٠ .
- ٦٠ - الصراع بين الفكرة الإسلامية . . . ص ٧٧ وحياة عبدالحلي ص ١٨١ .
- ٦١ - قال شبلي بالعربية هذين البيتين في إحدى جلسات ندوة العلماء :
- أهلاً وسهلاً ندوة العلماء قد كنت فينا آية الرحمن
امتد ظلك في الضواحي كلها حتى تشيب مفارق الغربان
- ٦٢ - حياة عبدالحلي ص ١٨١ .
- ٦٣ - نفسه ص ١٨٣ .
- ٦٤ - حياة شبلي ص ٤٦/٤٧ .
- ٦٥ - Journal of the Islamic Studies Vol V, Dec, 1966
- مقال بعنوان :
- Sir Sayyid Ahmad Khan's Role in the Development of Muslim Nationalism by: Hateeẓ Malik
- ٦٦ - نشر في مجلة معارف أغسطس ١٩١٦م .
- ٦٧ - انظر مقدمة كتاب يادكار شبلي والأدب الأردني الإسلامي الصفحة المتعلقة بسيد أحمد خان .
- ٦٨ - يادكار شبلي ص ١١٤/١١٥ .
- ٦٩ - طبع في الهند عام ١٨٩٩ و ١٩٤٠ وطبع في باكستان باهتمام محمد رياض عام ١٩٦٨م وأعيدت طباعتها عام ١٩٩١م والطبعة الأخيرة هي التي اعتمدنا عليها في هذا البحث .
- ٧٠ - مقدمة المرتب سفرنامه ترتيب محمد رياض ط مقبول اكاديمي لاهور سنة ١٩٩١م .
- ٧١ - مقدمة الرحلة .
- ٧٢ - الرحلة ص ٣٠ .
- ٧٣ - الرحلة ص ٣٤ .
- ٧٤ - الرحلة ص ٤٣ .

- ٧٥ - الرحلة ص ٥٤/٥٨ .
- ٧٦ - الرحلة ص ٩٥ .
- ٧٧ - الرحلة ص ١٠٨ .
- ٧٨ - الرحلة ص ١١٣ .
- ٧٩ - الرحلة ص ١٥٦/١٦٨ .
- ٨٠ - الرحلة ص ١٦٦ .
- ٨١ - الرحلة ص ١٧٤ .
- ٨٢ - الرحلة ص ١٩٤ .
- ٨٣ - الرحلة ص ١٩٧ .
- ٨٤ - يقول شبلي : ورغم أن تركيب شبلي المعالي غير موزون والبيت الثاني فيه اقواء أي عدم مراعاة الحركات في القافية (قدرا ومصرأ) إلا أن سرعة بديهة الطالب جديرة بالملاحظة الرحلة ص ١٩٨ .
- ٨٥ - الرحلة ص ٢٠٩ .
- ٨٦ - الرحلة ص ٢١٠ .
- ٨٧ - الرحلة ص ٢٢٨ .
- ٨٨ - الرحلة ص ٢٣٣ .
- ٨٩ - وربما كان العلامة شبلي أول شيخ في الهند تصل إلى يده الصحف والمجلات العربية من مصر كالهلال والمنار والمؤيد والمقتطف ومن طرابلس السلام وحتى من استانبول مجلة ثمرات الفنون .
- ٩٠ - هذا مما نظمه مولوي داود عضو لجنة الأدب :
- | | |
|---------------------------|------------------------------|
| حمد لمن جعل النجوم دراريا | والشمس نوراً للحناسد ماحيا |
| أشرقت شمساً من سماء معالم | لتمد أقمار العلاء معانيا |
| أضحى بفيضك روض علم ناضراً | من بعد أن قد كان دهرأ زاوياً |
| لله در مدرس تدرسه | سيل أتى وقد يغشى واديا |
| إن قال في العرب شعراً فاق | حساناً وفي العجمي فاق قانيا |
| قد يخلب الألباب سحر بيانه | إذ ما تصدى خاطبأ أو شاديا |
- وانظر أيضا قصيدة حالي بالعربية (حياة شبلي ص ٢٤٥) .
- ٩١ - النص الأصلي بالأردية :

بدرس جس كا يون صاحب تاج هو
پسر اس كا چادر كو محتاج هو

- ٩٢ - يادكار شبلي ص ٦٩ .
٩٣ - كانت المنار تصدر كل شهر عربي مرة وتبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران .
٩٤ - المنار المجلد الأول ص ١٠٦ .
٩٥ - المنار المجلد الأول ص ١١٤ .
٩٦ - المنار المجلد الخامس عشر ص ٥٩/٥٨ .
٩٧ - المنار المجلد الخامس عشر ص ٦٠ وقد نشرت الحلقة الثانية من المقال في المجلد الخامس عشر ص ١٢١ والحلقة الثالثة في نفس المجلد ص ٢٧٠ والحلقة الرابعة ص ٣٤٢ والخامسة ص ٤١٥ .
٩٨ - سليم اختر: اردو ادب كى مختصر ترين تاريخ ص ١٩٨ الطبعة الحادية عشرة لاهور سنة ١٩٨٦ م .
٩٩ - الترجمة العربية للدكتور حسين مجيب المصري بعنوان «الأدب الإسلامي في شبه القارة» ! ص ١٥٥ ط الأنجلو المصرية .
١٠٠ - العبارة الأخيرة لمحمد صادق صاحب كتاب تاريخ الأدب الأردني بالإنجليزية، نقلا عن ترجمة د. حسين مجيب المصري لكتاب جراهام بيل تاريخ الأدب الأردني عن الانجليزية ص ٣١٩ .
١٠١ - الأدب الأردني الإسلامي ص ٤٤١ .
١٠٢ - حياة شبلي ص ٣٧٩ .
١٠٣ - كتب موازنة أنيس ودبير وشعر العجم .
١٠٤ - حياة شبلي ص ٣٧٥ .
١٠٥ - مجلة الناظر عدد مارس ١٩١٠م نقلا عن يادكار شبلي ص ٣٩٥ .
١٠٦ - الأدب الأردني الإسلامي ص ٤٠٩ .
١٠٧ - ص ٩٠ من الكتاب المذكور .
١٠٨ - انظر حسين فوزي النجار . الدكتور محمد حسين هيكل مفكراً وأديباً، ص ٥٨ دار المعارف بدون تاريخ .
١٠٩ - ص ١١٣ .
١١٠ - ص ١٢٧ .

- ١١١ - مجلة الأزهر المجلد ٣٣ ج ١ محرم ١٣٨١هـ يونيه ١٩٦١م .
والترجمة لمحمد لقمان الأعظمي وعنوان المقال موقف عمر بن الخطاب يوم السقيفة للعلامة
الهندي شبلي النعاني .
- ١١٢ - مجلة الأزهر عدد محرم ١٣٨١هـ / يونيه ١٩٦١م ص ١٨١/ ١٨٢ نفسه ص ١٨٥ .
- ١١٣ - نفسه ص ١٨٥ .
- ١١٤ - محمد حسن الأعظمي والصاوي شعلان : فلسفة اقبال والثقافة الإسلامية في الهند
وباكستان، ص ١٧٥ - ١٧٦ ط ٢ دار الفكر، دمشق ١٩٧٢ (طبع الكتاب لأول مرة في
القاهرة سنة ١٩٥٠م) .
- ١١٥ - سمير عبد الحميد إبراهيم، الأدب الأردني الاسلامي ص ٤٠٧ .
- ١١٦ - أرنولد، السير توماس ARNOLD. SIR THOMAS (١٩٣٠م) . تعلم في كمبردج وقضى
عدة سنوات في الهند أستاذاً في جامعة عليكره (١٨٨٨-١٨٩٨م) وأستاذاً للفلسفة في
لاهور (١٨٩٨-١٩٠٤م) وهو أول من جلس على كرسي الأستاذية في قسم الدراسات
العربية بمدرسة اللغات الشرقية في لندن ١٩٠٤م ثم اختير عميداً لها ١٩٢١-١٩٣٠م
حاضر أرنولد في الجامعات المصرية عن التاريخ الإسلامي سنة ١٩٣٠م أعجب بالإسلام
وكان منصفاً في أبحاثه عنه ومن أهم كتبه «الدعوة إلى الإسلام» (١٨٩٦) الخلافة ١٩٢٢م
العقيدة الإسلامية ١٩٢٨م، وله مؤلفات ودراسات أخرى، انظر نجيب العقيقي :
المستشرقون ج ٢ ص ٨٤/ ٨٥ ط ٤ دار المعارف بمصر .
- ١١٧ - يادكار شبلي ص ٦٨ .
- ١١٨ - وقد ندم شبلي على كتابة هذه الرسالة فيما بعد . انظر حياة شبلي ص ١٠٧ .
- ١١٩ - مجلد ١٦ رقم ٨٢ ص ١١٧٥ .
- ١٢٠ - نقلاً عن حياة شبلي ص ١١٩ .
- ١٢١ - ص ١١٠/ ١١١ حياة شبلي، وهذا نص الرسالة التي وجدت في النسخة الخطية من ديوان
الصبابة لابن أبي حجلة التلمساني المتوفى سنة ٧٧٦هـ .
- «هذا ديوان الصبابة يصل إليكم وأما (أي أنا) فلا يمكنني حضور (الحضور) لديكم لا لأني
اشتغلت بأمور غير طائلة وقعدت همتي، وصرفت عنان العناية إلى الدنيا الدنية وبرأت من
تصحيل كمال العلم والأدب ذمتي فإني بحمد الله خلقت وكسب الفضل سيط من دمي،
فهو لا يفارقني إن شاء الله في حالتي (حالة) وجود يوعدي بل لأني لملازمتي هذه العهدة
الرزيلة [السيئة] أدوم أتفكر [أداوم التفكير] في حالتي فيزيد همي ويزداد ملالتي وبيدكم

الانصاف، ما هذا إلا الجور والاعتساف فصبر جميل وهو حسبي ونعم الوكيل.
(ش نعياني).

١٢٢ - كتب لأحد أصدقائه: لا يمكن لمشاعلي في الندوة ولقول الشعر أن يمضيا معاً، وعلى كل حال فالأمر ليس بيدي، الندوة فرض ديني والشعر فرض طبيعي، فأني منها أترك؟ هذا متوقف عليهما معاً، وأنا لا أملك إلا قلباً واحداً - انظر خطوط شبلي ص ١٠٢ نقلاً عن عبداللطيف الأعظمي: مولانا شبلي كا مرتبه اردو ادب سي ص ١٣٤ ط ٢ مطبع نظامي پريس لکھنؤ ١٩٨٥ م.

١٢٣ - Muhammad Sadiq a History of Urdu Literature. pp. 280 London, Oxtord Univ. Press 1964.

١٢٤ - نفسه 280 pp.

١٢٥ - کلیات شبلي اردو طبع سوم ص ٤٩ وما بعدها ط الهند ١٩٤٠ م.

١٢٦ - نقلاً عن شبلي اديبون كي نظرين تحرير محمد واصل عثماني ص ١٣ ط كراتشي.

١٢٧ - الأدب الأردني الإسلامي ص ٤١٥.

١٢٨ - موج كوثر المقدمة ص ١٣.

١٢٩ - شبلي كامر تبه الصفحات الأخيرة.

١٣٠ - یادکار شبلي ٢٩٦.

١٣١ - حياة شبلي ١٣٢.

١٣٢ - في يوليو ١٩١١ عقدت الحكومة مؤتمراً في شمله كان شبلي عضوا فيه وكان أمين المؤتمر العام هو المستر برن نائب الحكومة في الولاية الشمالية بالهند وكان عالماً بالأردية والفارسية فسأل شبلي: ما هي «المكانة الشرعية» للحكومة الانجليزية في رأي المسلمين؟ فرد شبلي قائلاً: حال المسلمين كما ترى في كل جمعة يقولون «السلطان ظل الله في الأرض» فرد المستر برن: لابد بالضرورة أن المقصود هو سلطان تركيا.

وكانت هذه شوكة لم تخرج من حلق المسؤولين الانجليز ص ٢٨١ حياة شبلي.

١٣٣ - حياة شبلي ص ٥٩٣/٥٩٤.

١٣٥ - نفسه ص ٤٩٦.

١٣٦ - نفسه ص ٤٧١.

١٣٧ - نفسه ص ٤٨٨.

١٣٨ - شبلي كا مرتبه ص ١٨١/١٨٢ .

١٣٩ - نفسه ص ١٨٣ .

١٤٠ - حياة شبلي ص ٦٣٧ .

أهم المصادر والمراجع

- أبو الحسن علي الندوي :
- * الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ط الدار الكويتية ١٩٦٨م .
- * المسلمون في الهند ط لكهنؤ .
- * حياة عبدالحفي ط بوند الهند ١٩٨٢م .
- حالي أطفاسين :
- حياة جاويد ط باكستان .
- حامد حسن قادري :
- داستان تاريخ اردو ط ٢ لاهور ١٩٦٩م .
- حسين مجيب المصري (مترجم) :
- الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية .
- ترجمة كتاب جراهام بيلي وعنوانه تاريخ الأدب الهندوستاني باللغة الإنجليزية ط
- الأنجلو المصرية ١٩٩١م .
- حسين فوزي النجار :
- الدكتور هيكل مفكرا وأديبا ط دار المعارف مصر .
- سليم أآتر :
- اردو أدب كلي مختصر ترين تاريخ ط ١١ لاهور ٩٧٦م .
- سمير عبدالحميد إبراهيم :
- الأدب الأردني الإسلامي - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مطابع
- الفرزدق ١٩٩٢م .
- محمد إكرام :
- موج كوثر ط لاهور ١٩٦٦م .
- ياد كارشبلي ط لاهور ١٩٧١م .

- محمود حجازي :
- علم اللغة العربية - ط الكويت ١٩٧٣م .
- محمد حسن الأعظمي والصاوي شعلان :
- فلسفة إقبال والثقافة الإسلامية في الهند وباكستان ط دمشق ١٩٧٢م .
- محمد واصل عثمان :
- شيلي ادبيون كما نظر س ط كراتشي Muhammadd Sadiq; A history of urdu Literature London Oxford 1969.
- الدوريات :
- المنار المجلد الأول والمجلد الخامس .
- مجلد الأزهر محرم ١٣٨١ / يونيو ١٩٦١م .
- مجلة معارف الأردنية أغسطس ١٩١٦م .

Journal of Islamic Studies Vol II Dec. 1916